مهين كما رأيتها

محمد خير المصطفى

AYLA
للنشر والتوزيع
2022

مهين كما رأيتها

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نسخه عن طريق الاسترجاع أو نقله بأي شكل إلكترونيا أو تصويره أو ترجمته إلى لغة أخرى دون الحصول على موافقة مسبقة من الناشر والمؤلف

Bu kitap veya herhangi bir bölümü, yayıncının ve yazarın önceden izni olmaksızın yayınlanamaz, yeniden elde edilerek çoğaltılamaz, herhangi bir elektronik biçimde iletilemez, fotokopisi .alınamaz veya başka bir dile çevrilemez

This book or any part of it may not be published, reproduced by retrieval, transmitted in any electronic form, photocopied or translated into another language without the prior consent of the publisher and author

الكتاب: مهين كما رأيتها

المؤلف: محمد خير المصطفى

النوع: دراسات

الطبعة الأولى إلكترونيا – istanbol 2022

الناشر: دار آيلا للنشر الإلكتروني الحر

الغلاف: محمد خير المصطفى

رقم الكتاب في مكتبة آيلا: /2022/6

الترقيم الدولي: GGKEY:F6WKTBBLDOP

مهين كما رأيتها

طبعة أولى

2022

كل الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب، تعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يتحمل الناشر أدنى مسؤولية

جميع الحقوق محفوظة

AYLA

للنشر والتوزيع

مهين كما رأيتها

محمد خير عبد الكريم المصطفى

حقوق الطبع محفوظة

لا يسمح بإصدار هذا الكتاب أو نسخه أو تصويره دون إذن الكاتب

الإهداء

إلى الذين بذلوا كل ما بوسعهم لأعيش حياة كريمة

وأن أتلقى تعليمي مهما كانت الظروف

أمي و أبي

رحمهما الله

أنا الذي ولدت يوم كانت السيول تطوف الأزقة والشوارع

وبعكس كل المواليد التي تبكي عادة كنت بلا نَفَس

فرك أبي أنفي ببصلة قطعها بقدوم مشفقاً ، فعطست

الحمد لله

وأظنها كانت سبباً في ابتعادي عن أكل البصل

حتى تغير مزاجي لاحقاً

ورأيت الذي ترى أو لا ترى.

في عبق الماضي كثير من الروائح الطيبة

ولكن كثرة المكوث تثير المواجع.

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد النزوح الأول لأهالي مهين إلى مدينة القريتين، ثم بعد أن تلاه النزوح الثاني إلى كثير من بقاع الأرض داخل سوريا وإلى خارجها، راودتني الفكرة في أن أكتب عن مهين كما رأيتها بأم عيني منذ سبعينات القرن الماضي إلى لحظات كتابة هذه الأسطر، فهناك من وُلد ولم يعرف عن مهين إلا اسمها، وسيكون هناك آخرون لن يعودوا إليها أبداً، وتُنسى كما غيرها من الذكريات التي مرت بأهلها بحلوها ومرّها، وستبقى كثير من الأسئلة المعلّقة التي لا جواب لها، من أين جاء أهلها وما هي أصولهم التاريخية؟ وكيف كانوا يعيشون قبل مئات السنين؟ وبالتالي رأيت أن أحاول وضع مقاربة منطقية في هذا الأمر علّها تلقي الضوء على هذا الموضوع الصعب، فكان لزاماً أن أبحث في كثير من الكتب التي تتحدث عن تاريخ المنطقة الجغرافي والسكاني، وهذا يتطلب المزيد من الوقت وبذل الجهد، وقد لا أحصل على نتيجة مرضية، ولكنّ المحاولة تستحق العناء، والحصول على بعض المعلومات أفضل من عدمها. وكان الاستنتاج والاستقراء المقاربة التي اعتمدتها بسبب شحّ المعلومات أو انعدامها، وهذا قد يمهد الطريق لباحثين آخرين في المستقبل لجلاء أسرار صيرورة هذه البلدة.

في مثل هذه الدراسة لا يصح إلا أن تُذكر الأشياء بأسمائها، وإلا لن تكون هناك فائدة مرجوة، وستضعف المصداقية، فهذه للتاريخ، ومع هذا فأنا لا أحاكم أحداً ولا أقاضيه، وليس في نيتي التشهير أو النيل من أحد أبداً. وقد حرصت أن أضع الصور المناسبة في مكانها لتكون الدراسة أكثر واقعية، والتي صورْتُ معظمها بهاتفي النقال وبكاميرتي الخاصة، حيث كنت أعمل على نشرها في منتديات مهين، والتي قمت بإنشائها في العام 2006 م على شبكة الانترنت باسم: www.mheen.com

ومن ثم قمت بتحويلها فيما بعد إلى موقع مهين للتنمية الريفية التابع لموقع شبكة المعرفة الريفية، والذي كان يضم حوالي تسعين موقعاً لبعض القرى والمدن السورية من عدة محافظات تحت رعاية مكتب الأمم المتحدة ووزارة الاتصالات والتقانة وكان رابطه: mahin.reefnet.sy وقد قسمت الكتاب إلى فقرات موضوعية لتسهل مراجعتها.

وكان لا بد من العودة تاريخياً إلى فترة ما قبل سبعينات القرن الماضي وخاصة عند البحث عن أصول السكان أو الحالة الجغرافية والسياسية والدينية السائدة في هذه المنطقة منذ القديم، فذكرتُ ما وجدته في بعض الكتب التاريخية وبعض كتب الأنساب بما يتناسب وهدف هذا الكتاب، وتحدثت باختصار عن العادات والتقاليد والتراث وقضايا معيشية أخرى متعلقة، وبعض الأمراض المجتمعية السائدة وأسبابها، وفيما يتعلق بالثورة والحرب وما ترتب على ذلك من نزوح فقد حاولت أن أضع القارئ بصورة الأحداث التي جرت بشكل عام، و كيف كان انعكاسها على الأهالي ومعاناتهم بشكل خاص دون

الخوض في كثير من التفاصيل التي أرى أن يخصص لها كتاب منفرد يتحدث عن مشاركة أبناء مهين في الثورة ويسلط الضوء على تضحياتهم.

هذا والله ولي التوفيق.

محمد خير عبد الكريم المصطفى

2/9/2022

موقع مهين

تبعد بلدة مهين عن مدينة حمص حوالي 80 كم باتجاه الجنوب الشرقي على طريق القريتين القديم مروراً بالبلدات: ريان ـ الفحيلة ـ الروضة ـ الرقامة ـ المنزول ـ الشعيرات ـ الوازعية ـ النعامية ـ صدد ـ مهين ـ حوارين ثم إلى القريتين.

وتبعد عن مدينة النبك ما يقارب 50 كم باتجاه الشمال الشرقي مروراً بالبلدات: ديرعطية ـ البريكة ـ الحميرة ـ الحفر ـ صدد ـ مهين. وترتفع عن سطح البحر ما يقارب 900 م وتقع على خط العرض: 34.14.32 وخط الطول: 37.03.31 ، ويبلغ عدد سكانها حوالي 17000 نسمة في العام 2010 وجميعهم مسلمون.

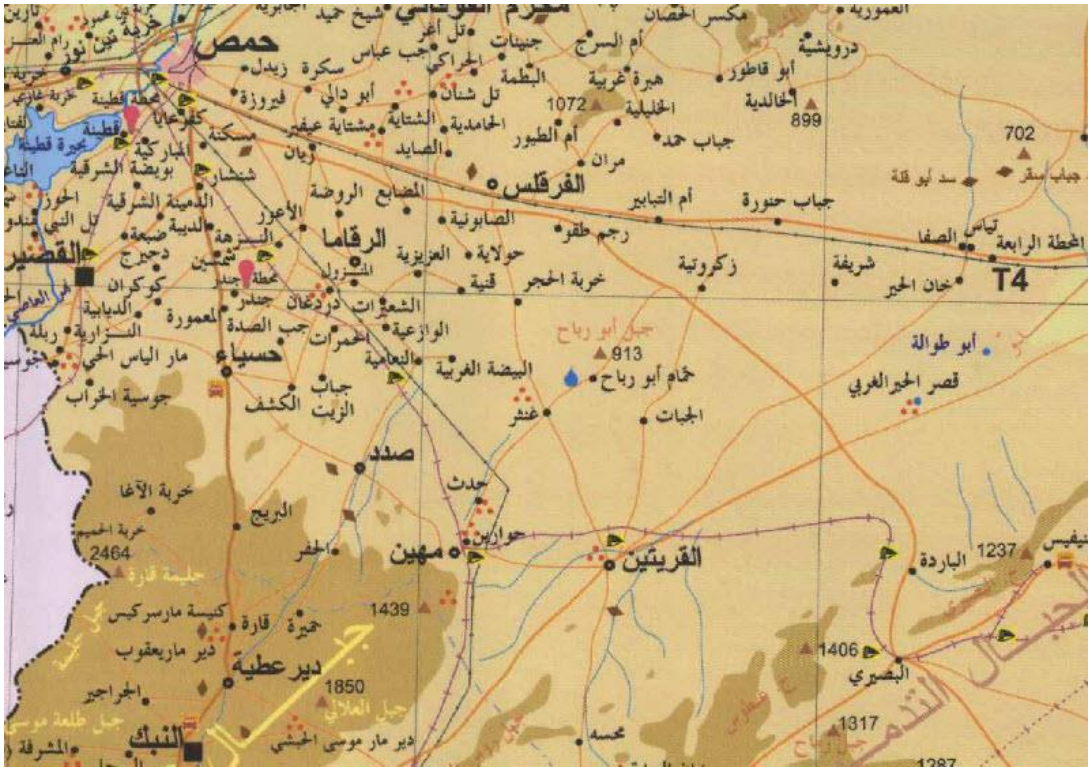

موقع بلدة مهين على خريطة سورية

ما كتبه المؤرخون عن مهين

كتب عنها أحمد وصفي زكريا في كتاب جولة أثرية في بعض البلاد الشامية[ص367] والتي جرت أحداثها بين عامي 1925 و 1933 م: (أهلها مسلمون وهي قديمة وفي أعلاها بناء أثري كبير مبني على

الصخر يدعونه سجن حوارين تدل هندسته أنه لم يكن سجناً بل معبداً وثنياً اتخذ كنيسة في عهد البيزنطيين ولا يزال فيه عدد من الأعمدة والأفاريز المنقوشة وحجارته ضخمة عادية وطول جداره 12 متراً وعرضه عشرة أمتار، وقد ألحق به بناء لتحصينه ذو أبراج مربعة ولكنه أحدث من المعبد صنعاً، وفي مهين أيضاً عين وبساتين قليلة). وفي الطريق من مهين إلى القريتين[ص369] (براري وتلعات بيضاء صلعاء لا ترى فيها إلا جمال البدو ومضاربهم وأسراب الغزلان ومصائدهم والشمس المتوهجة والسراب المتلألئ).

وفي الموجز في تاريخ مدينة حمص وأثارها لمحمد ماجد الموصلي[ص16]:(في العهد الروماني كانت هناك شبكة طرق تصل إلى حمص ومن هذه الطرق: الطريق الواصلة بين حمص Emesa والفرقلس Bet-Proslic والغنثر Othora والحدث Hadatha وحوارين Aueria ومهين Danaba والقريتين Nezala). أي أن اسم مهين كان دانابا .

وفي كتاب ربوع محافظة حمص عماد الدين الموصلي: (مهين تتبع مملكة تدمر وكانت تعتبر من المواقع الدفاعية الهامة ومحطة قوافل متممة لمحطة تدمر الرئيسية حيث كانت مركزاً للفرقة العسكرية الرومانية المعروفة بالفرقة الغالية الفرنسية التي كانت تراقب طريق المنطقة الواقعة بين دمشق وتدمر).

وكتب نور الدين عقيل في صفحات من تاريخ يبرود والقلمون (أما موقع دانوبا فإن له أهمية في تاريخ القلمون المسيحي، ذلك أن لوائح أباء الكنيسة تذكر أنّ بين موقّعِي قرارات المجمع المسكوني المقدس في مدينة نيقية عام 324 م أسقف دانوبا، ويعتقد بعض المؤرخين وعلماء الآثار أن موقع دانوبا شمالي القلمون واعتقد البعض أنها صدد الحالية، وقال آخرون ومنهم دوسو أنها مهين، كما قال غيرهم أنها الحفر، على أنه من المرجح أن دانوبا هي مهين. ولا بد أنّ مهين كانت ذات أهمية دينية كبيرة طالما أنّ أسقفها كان يحضر مجمع نيقية المقدس عام 325 م. وقد كانت مهين مركزاً للفرقة العسكرية الرومانية الثالثة المعروفة بالفرقة الغالية الفرنسية التي كانت تراقب طريق المنطقة الواقعة بين دمشق وتدمر).

وجاء في كتاب البلسم الشافي لأحمد القشعم أنّ (طريق الإبل القادم من الفرقلس إلى الغنثر وحوارين ثم مهين يمر بشرقها إلى علامة خان الأبيض إلى خان الجلاجل إلى الحدود الشرقية لملاحات جيرود إلى الرأس الجنوبي للملاحات).

وكتب فتح الله الصايغ في مذكراته[ص51] عام 1810 م أنه غادر صدد مع لاسكارس الفرنسي قاصداً القريتين وقد سار أربع ساعات، يقول: (وصلنا ضيعتين واحدة على اليمين والأخرى على اليسار يقال لهما مهين وحوارين وبينهما ماء جارية تكفي لهما وفي كل ضيعة فقط نحو عشرين بيتاً لأن أكثرها خراب وفي وسط كل قرية برج شامخ عال قديم العمارة جداً ولباس أهلهما كلباس العرب وكذلك كلامهم).

وفي كتاب اللؤلؤ المنتضد في تاريخ صدد للخوري ابراهيم دنهش[128]ص:(مهين أو أمهين زنابة، تاريخ وجودها مع حوارين فيها بناء أثري قديم قائم على الصخر يدعونه السجن المهين تدل أوضاعه أنه لم يكن سجناً بل كان معبداً وثنياً تحول إلى كنيسة في عهد البيزنطيين و فيه عدد من الأعمدة و الأفاريز المنقوشة وحجارتها ضخمة عادية وقد ألحق به بناء لتحصينه ذو أبراج مربعة، اعتنقت الدين المسيحي مع حوارين من مبشريها، ومن عهد سيف الدولة الحمدانية أخذ ظل النصرانية يتقلص، وبتوالي الأيام انقرضت هذه البلدة و لاذ أهلها ببلدة صدد و القريتين واندمجوا معهما على عقيدتهما الأرثوذوكسية واللغة السريانية).

التسمية

في الآرامية أمهينو، أي أرض الينابيع، حيث كان فيها ست عيون رئيسية، وفي السريانية تعني المطبوخ أو الناضج، وقد تحول البناء الأثري إلى سجن في فترة ما كما ذكر المؤرخون، فمن يسجن فيه مُهان أو مَهين فيكون هو سجناً مهيناً وهذا سبب آخر للتسمية استنتجه المتأخرون ولكنه لا يصح لأن البناء كان معبداً أصلاً مما يعني أن للمكان اسماً أسبق مما تم استنتاجه وهو أرض الينابيع بالآرامية أي أمهينو، وفي كثير من الكتب القديمة تُذكر أمهين، وقد تحول هذا الاسم الأكثر شهرة مع الزمن ليصبح مخففاً باللهجة المحلية للسكان أي مهين. و ذُكرت مهين كما مرّ سابقاً باسم دانابا أو دانوبا أو زنابة في العهد الروماني.

البناء الأثري

بُني هذا البناء القديم في منطقة مرتفعة على هضبة يصل امتدادها جنوباً إلى الجبل المحاذي للبلدة والمسمى الجبل الصغير (الزغير) كاشفة الأراضي المحيطة بالعين المجردة باتجاه حوارين شمالاً إلى قرية الحدث، وإلى الغرب حيث حزم صدد إلى أن يصل إلى مسافات بعيدة حيث الأراضي باتجاه الجنوب الغربي إلى قرية الحفر، ثم إلى محاذاة الجبل المذكور، وباتجاه الشرق حيث الأراضي الواصلة إلى بلدة القريتين.

لقد تمّ بناؤه في هذا المكان حيث لا تصل إليه أنهار السيول الجارفة القادمة من أودية الجبل وفي مكان عال حيث يمكن اعتباره برجاً يشرف على المناطق المحيطة لمراقبة الطرقات والقوافل والبدو والعدو، فالمنطقة مكان متقدم للدفاع عن مملكة تدمر، فكان معبداً ثم كنيسة ثم سجناً ثم تحولت أرضه فيما بعد إلى جامع حسب الأزمنة التي مرّ بها. و بالقرب من هذا البناء مغارة واسعة على بعد (15 م) إلى الشمال من مئذنة الجامع الحالي، ويستطيع الرجل أن يقف بداخلها وهي في دار يسكنها منصور الزغيرة. وفي أسفل

المنحدر من الجامع الحالي في الجهة الغربية على بعد حوالي (20 م) توجد مغارة أخرى أضيق من السابقة وقد تأثرت بالعوامل الطبيعية مع الزمن، فانهارت جزئياً، مما جعل من الصعب الدخول إليها، وهي في دار تسكنها عائلة من آل أسعد الأمين.

البناء الأثري في الحي الشرقي (البوابة)

إنّ صورة المبنى هذه تعود للعام 1900 م بعدسة مستشرقة بريطانية تدعى: (جرترود بل) ويظهر في الصورة جزء من المبنى الذي انهار أعلاه بسبب زلزال أصاب المنطقة في فترة ما، فكان الجزء الأكبر من حجارته المنهارة في المنحدر باتجاه الغرب في الطريق الحالي المار جنوب المسجد، وتدحرجت أجزاء الأعمدة الأسطوانية في المنحدر نحو الشمال أيضاً، وبقيت الحجارة في الطريق إلى التسعينات من القرن الماضي، ولكنْ هندسها السكان على شكل درج في أجزاء منه يتخلله ممر تستطيع الدواب المرور فيه بسهولة إلى أعلى الهضبة والتي تسمى البوابة.

البيوت الطينية

لقد بنيت البيوت متلاصقة بيتاً بيتاً بجانب المبنى المذكور وبالرغم من أنها من اللّبن والطين والحجارة فقد بُني منها على شكل طابقين حيث تدعى الغرفة في الطابق الثاني (علّية)، وقد كانت تبنى النوافذ والأبواب المفتوحة بالجدران بحجر الجص (الكذّان)، و منها ما كان يزيّن بزخارف تحفر عليه.

وبازدياد عدد السكان دعت الحاجة لبناء مسجد، فكان الموقع المناسب أرض المبنى الأثري المنهار فاستفادوا من حجارته في بناء المئذنة، و رصف الطرق المجاورة، و رصف طريق البوابة المذكور سابقاً و الذي يؤدي إلى عين الماء التي مكانها الساحة الحالية للبلدة (ساحة العين). واستُخدِمت كثير من الحجارة على الأبواب في الطرقات كمصاطب يجلس عليها الناس يتبادلون أحاديثهم. وتُظهِر الأزقة الضيقة إلى عهد قريب كثيراً من الحجارة التي تناثرت من المبنى و وضعت على الجوانب وكأنها

متاريس تدعم الجدران أو رُصِف الصغير منها في الأرض ليكون بديلاً جيداً عن الطين والوحل في الشتاء أثناء المطر.

في بيوت اللّبن كان يتوسط بعض الغرف قوس (قنطرة) من حجر الجص للمساعدة في ثبات ومتانة الجدران والسقف، وأما السقف فكان من أعمدة خشب الحور الطويلة حيث يُرصف فوقه سوق نبات الزل بعد تجريده من أوراقه - استبدله البعض لاحقاً بألواح الخشب السميك – و يوضع فوقه تراب البلّة ثم طبقة رقيقة من الطين الأبيض المخلوط بالتبن والذي يتميز بمقاومته لتسرب مياه المطر في الشتاء، وتُجدد هذه الطينة كل سنتين على الأغلب، وتستخدم نفس الطينة للجدران داخل الغرف ثم تطلى بمياه طين أبيض يدعى حوّارة يؤتى به من متربة خاصة في أطراف البلدة أو من أرض حوارين. وكان يُبنى الدرج إلى العليّة من حجارة كبيرة وطين مستنداً إلى جدار يدعمه و يثبته إليه، ويطيّن كما هو الحال في طين الغرف.

يتألف المنزل قديماً من عدة غرف مبنية غالباً على نسق واحد أو متقابلة بمسافة جيدة حسب مساحة الأرض وشكلها، وتخصص غرفة كبيرة نسبياً لاستقبال الضيوف وتسمى المنزول، وكانت تبنى مدخنة في زاوية مناسبة في بعض هذه الغرف بحيث يمكن استخدامها في حرق الحطب للتدفئة شتاء أو للطبخ وعمل القهوة العربية المرّة التي لا يخلو منها بيت عادةً، و لها تسميات مثل حوم أو أوجاق والأخيرة تعني الموقد باللغة التركية، وفي أسفل الدار يبنى الحوش ويُقسّم ليحوي مكان الدواب ومكان العلف أو التبن ومزبلة (بيت الخلاء). وكان معظم الناس يربون الدجاج البلدي ويوضع عادة في حوش خاص به، ويبنى فيه القن وفي سقفه فتحة تسمح بمد اليد لجمع البيض، والبعض الآخر يبني القن في المزبلة نفسها حيث لا يوجد مكان خاص به.

كانت تتكدس الدور بجانب المسجد، والأزقة ضيقة وكثيرة التعرجات و لكنها تسمح بمرور حمار وعلى ظهره الشليف الذي يُحمل عليه، والمملوء بالحطب أو الحشيش، ولكن بعض الأزقة يمكن أن تكون نهايتها إلى إحدى الدور، ولا تمرر إلى الجهة الأخرى أو إلى خارج البيوت، والشخص الغريب عن الحي هو الذي يتوه فيه وعليه أن يعود إلى الباب الذي كان يغلق على الحي من إحدى الجهات ويدعى طاقة، مثل طاقة بيت ضعيّف، وهذا أسلوب الحماية من البدو ليلاً حيث يفتح في الصباح ويغلق في المساء، ويبدو أنه مأخوذ من أسلوب الحماية للمدن كما في حمص ودمشق. وكان يراعى في أبواب الدور إمكانية دخول الدواب وما تحمله على ظهورها، فيكون باباً كبيراً يفتح عند الحاجة، وباباً صغيراً لدخول الناس منه.

قنطرة في غرفة طينية

بيت ذو علية وبقايا حجارة من المبنى الأثري

مئذنة المسجد في البوابة

قاعدة المئذنة

باب في أحد الغرف القديمة

حجر من بقايا عمود من المبنى الأثري

أوجاق أو حوم

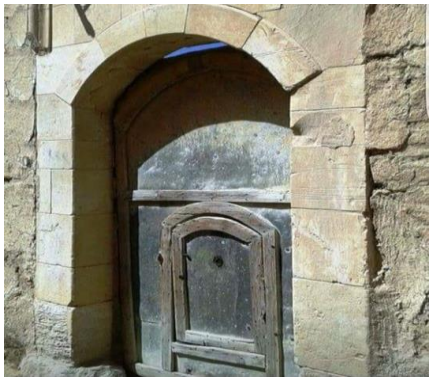

باب دار قديم

قرية حوارين

باتجاه الشمال على بعد 4 كم تقع حوارين التي تجمعها مع مهين أحداث التاريخ التي جرت على هذه المنطقة، إلا أن ما يميز مهين ينابيعها التي كانت ومازالت تسقي حوارين أيضاً. سكن الآراميون والعرب في حوارين منذ القديم، وبقيت الآرامية فيها جلية إلى زمن متأخر، وكانت حوارين خطاً دفاعياً محصناً اتخذها اليونان والرومان ومن بعدهم البيزنطيون كما هي عادتهم في البلاد التي كانوا يحتلونها، فأسكنوا فيها حاميات، وألقوا على عاتقها مهمة الدفاع عن الحدود، وتتكون هذه الحاميات من قلاع ومن حصون (أبراج).

حصن حوارين:

ومن الشواهد العريقة على تلك الحاميات، الحصن القائم في حوارين شاهقاً بارتفاع يربو على العشرة أمتار بجدرانه الأربعة ولم يفقد سوى السقف، وقد بُني هذا الحصن على شكل مستطيل طوله ثلاثون متراً وعرضه خمسة وعشرون متراً، مقسم من الداخل إلى قسمين كل قسم يحوي ثلاث غرف متقابلة، وفي وسط الحصن ساحة وبئر للشرب محفور في الصخر، ولهذا الحصن بابان أحدهما مصنوع من حجرة واحدة تفتح وتغلق بدقة تامة وعليه نقوش كثيرة وصليب منحوت بشكل مزخرف، ووسط الحصن كان يوجد درج تهدّم مع مرور الزمن، و قد أصبح هذا الحصن الذي شيّده الرومان قلعة بيزنطية. ويُذكر أنّ يزيد بن معاوية اتخذ من حصن حوارين قصراً له فسُمّي قصر يزيد، وكان يعيش فيه مع أمه ميسون المحبة لحياة البادية، فينعمان بهذه الطمأنينة التي لم يكونا يجداها في قصر (الحضرة) في دمشق، وكان يزيد يحب الصيد فيصطاد في الأراضي التي تصل إلى جبة عسال في أعالي جبل سنير (القلمون)، ويُذكر أنه عندما توفي معاوية كان يزيد غائباً في حوارين، وقد توفي يزيد فيها أيضاً العام 683 م. وتضم حوارين أيضاً سبع كنائس قديمة منها:

حصن حوارين من الداخل

الباب الحجري للحصن

كنيسة الجعارا: ومساحتها تقدر بست مائة متر مربع، وربما كانت هيكلاً وثنياً في عهد الرومان ثم حُوّلت إلى كنيسة، وهي مبنية بحجر كبير الحجم، تبعد عن حوارين حوالي 500 متر، وتتألف من صحن مركزي مستطيل و رواقين جانبيين وهيكل من الشرق وغرفتين على جانبي الهيكل، واستخدمت فيها من الجانب الشرقي قواعد وتيجان قطرها 120 سم، وارتفاع الجدران أربعة أمتار.

كنيسة الرهبان: فهي مبنية من حجر كبير الحجم أيضاً على شكل مستطيل، وتضم فناءً واسعاً في وسطها ومداخل من الغرب والجنوب والشمال ويقوم بجانبي صحنها المركزي رواقان وهيكل من الشرق، واستعملت تيجان بديعة في بنائها.

بقايا كنيسة الرهبان

الدين المسيحي في المنطقة

ورد في كتاب تاريخ الأزمنة للمؤرخ البطريرك ميخائيل الكبير أنّ ميليا الخامس أحد المبشرين السبعين قد نادى بالتعاليم الإنجيلية في حمص وحماة والرستن وبعلبك ومات في شيزر، وبالتالي وصلت التعاليم إلى القرى والمدن التابعة، فدخلت المسيحية إلى بلدة صدد الواقعة على بعد 15 كم غرب مهين فكانت مركزاً مسيحياً وازناً في المنطقة محافظة على دينها المسيحي وتُعرف بالكثير من الكهنة، فبنيت بها كنائس وأديرة على نفقة الأغنياء وإحسانهم، ففي القرون الوسطى كان في ضواحيها دير قديم اسمه ماريونان، وكان عامراً بالرهبان وتخرّج منه أحبار وعلماء دين، ومن ثم دخلت المسيحية إلى حوارين بواسطة زكا (عفيف) رئيس العشّارين أحد أتباع المسيح عليه السلام في أواسط القرن الأول، وبالتالي إلى مهين والحدث والغنثر. و شيّد السريان كنيسة على أنقاض هيكل وثني في حوارين سميت كنيسة الجعارا لأن صوت جرسها الضخم كان يصل إلى القرى المجاورة، كما شيّدوا الكنائس الأخرى المذكورة سابقاً.

ويذكر الخوري ابراهيم دنهش في كتابه اللؤلؤ المنتضد في تاريخ صدد أنّ من الأساقفة يوحنا لرهبان العرب والغساسنة في أطراف حوارين الذي تمّ عزله لاعتقاده في المسيح طبيعة واحدة مع أربعين أسقف

غيره، والأسقف توما الذي نسخ حساي صوم الكبير لبيعة القديس مار برصوم في الحفر عام 1736 م، ومن الغنثر القس عبدالله قسطنطين والذي كان حياً في العام 1723 م وقد توفي العام 1771 م، والقس موسى بن عبدالله الذي توفي عام 1845 م. وفي الحدث الكاهن سمعان العمودي صاحب كنيسة الحدث. وكان في حوارين مكتبة اندثرت مع مرور الزمن ولم يبق منها إلا تاريخ باسيليوس الكبير الموجود حالياً في إحدى كنائس صدد، فكانت حوارين مركزاً سريانياً هاماً. وفي القرن السادس كانت أحد معاقل الغسانيين لصد هجمات الفرس والعرب الموالين للدولة الساسانية، ويدل هذا كله على عدد السكان الكبير في هذه الحقبة الزمنية في حوارين وبنسبة أقل في مهين والحدث والغنثر، فكان في مهين كنيسة ضخمة هي المبنى الأثري المذكور والذي كان معبداً وثنياً على الأغلب قبل أن يتحول إلى كنيسة، وبقيت المنطقة بصبغتها المسيحية إلى أن سار خالد بن الوليد من العراق قاصداً مدد المسلمين في الشام، وقد ضاقوا ذرعاً من كثرة جيوش الرومان، ففتح في طريقه ما اجتاز به من شرق الشام مثل أرك ودومة الجندل وقصم وتدمر والقريتين وحوارين ومرج راهط. كما ورد في كتاب خطط الشام لمحمد كرد علي ج1ص79.

أحداث شهدتها المنطقة

تأثرت المنطقة بالعديد من الأحداث التاريخية بشكل مباشر أو غير مباشر ومن هذه الأحداث:

1- **حملة أورليان:** بعد حملة الإمبراطور أورليان والقبض على زنوبيا ملكة تدمر عام 271 م وبعد عودة أورليان إلى روما ثار التدمريون على الحامية الرومانية وقتلوهم واتخذوا ملكاً لهم، فأرسل أورليان جيشاً وقيل أنه قاده بنفسه فأهلك الحرث والنسل وقضى على كثير من القرى حتى وصل تدمر وعمّ الخراب في الأراضي والسهول وتشتت الناس.

2- **سيف الدولة وقبائل العرب:** في عام 950 م جرت حرب دامية بين سيف الدولة وقبائل العرب الثائرة التي أسرت أبو وائل أمير الحمدانيين فأعمل الخراب في سلمية والغنثر والحدث ومهين والفرقلس وتدمر والجباة ، فردم الآبار واقتلع الأشجار وهدم المنازل وتشتت الناس ولاذ منهم بحمص والقريتين وصدد.

3- **الأغوات:** في عهود مختلفة كانت العربان تهاجم كثيراً من القرى والمدن وقوافل الحج وقوافل التجار فكانت تُتّخذ إجراءات احترازية للحماية كأبواب الحارات والأحياء والقرى، بالإضافة إلى حاميات الطرق و القوافل، وكان يشرف على هذه الحاميات ويشكلها الحكام المحليين، ومن هؤلاء بعض العوائل الكبيرة والغنية، فقد حاز راسم عبد الوهاب الأخرس على قسم من أراضي حوارين وبقي قسم آخر مع المزارعين وحاز آل سويدان على الحدث والغنثر وكان آل سويدان آغا منذ عهد السلطان العثماني سليم الأول عام 1520 م يتوارثون المناطق بدءاً من حمص،

حيث حكم أولاد ابراهيم آغا وأحفاده حتى أيام مسعود آغا عام 1835 م، ثم حكموا البادية مع طريق حمص وتدمر وجبل القلمون حتى أبواب الشام إلى عام 1892م وكان لهم قصر في حسية، وفي عام 1851 م قتل العربان صالح آغا السويدان بجوار الحدث، بسبب ما قيل أنه كان خشن الطباع.

4- **الحروب:** ورث المماليك حكم مصر والشام من الأيوبيين، وبدأ حكمهم عام 1250 م، وكان مصير حمص ومناطقها الإهمال، فالحروب الصليبية، والغزو المغولي، وفتن الأعراب التي بدأت في تلك الحقبة، ألحقت أضراراً كبيرة بقرى حمص الشرقية، فزاد الوضع سوءاً على وضعه السيء أصلاً بفعل الثورات والروم والصليبيين والزلازل والأمراض، فقلّ عدد السكان، واستمر الوضع حتى جاء العثمانيون عام 1516 م، وكانت حمص في أول عهدهم لواء يتبع ولاية طرابلس، ثم تحولت إلى حماة المرتبطة بولاية دمشق، وظلت طيلة العهد العثماني مهملة يعيش سكانها حياة بسيطة متواضعة ويعانون من فتن الأعراب وتعدياتهم، فتغلق أبواب الأسوار بعد الغروب ويأوي كل امرئ إلى بيته لا يجرؤ على الخروج منه حتى جاء ابراهيم محمد علي حاكم مصر عام 1832 م، فساد الهدوء وانتشر الأمن وانتعشت القرى الشرقية وتحسن اقتصادها حتى خرج المصريون عام 1840 م فعادت الأمور ثانية إلى سوئها، وعاد البدو إلى الاعتداء والنهب والقتل.

5- **الأمراض:** انتشر وباء الطاعون في العام 1342 م وحصد كثيراً من الأرواح، وفي العام 1661 م انتشر ثانية في شمالي سوريا ثم بدأ ينتقل من مدينة إلى أخرى فعمّ كافة أرجاء البلاد فهلك كثير من سكان حمص، وتلا هذا المرض مصيبة الجراد الذي داهم البلاد وقضى على الزيتون والتوت والكروم ومحاصيل زراعية أخرى، ولكن المطر أدركه فقضى عليه، وعاد الطاعون في العام 1670 م وكان له ضحايا كثر. وفي عام 1826 م انتشر الوباء مرة أخرى وهلك كثير من الناس، ثم قدم الجراد فأكل الأخضر واليابس.

6- **الكوارث الطبيعية:**

- في عام 1302 م حدث زلزال كبير هلك على إثره خلق كثير وتهدمت أبنية كثيرة وتهدم بعض أسوار حمص وحماة.
- كان عدد سكان حمص عام 1888 م عشرون ألف نسمة ثلثهم نصارى والباقي مسلمون، وفي العام 1922 م كان عددهم واحد ثلاثون ألفا ربعهم مسيحيون. وفي عام 1821 م حدث زلزال كبير مات بسببه لا يقل عن مئة شخص في حمص.
- و في عام 1909 م هطلت أمطار غزيرة في حمص صحبها بَرَد كبير الحجم وتدفقت المياه وجرفت السيول وهدمت 367 بيتاً من بيوت الطين وجرفت أيضاً أبقاراً وأغناماً وماعزاً في

بعض الأماكن وبعض جثث ضحايا الناس، حيث قتل السيل 92 شخصاً وأصبح 1500 شخص على الأقل بلا مأوى.

من مذكرات فتح الله الصايغ

ورد في كتاب (رحلة فتح الله الصايغ الحلبي تحقيق الدكتور يوسف شلحد):

خرج فتح الله الصايغ ذو العشرين عاماً مع لاسكاريس الفرنسي كدليل ومساعد له في تجارته، مع جهله بمهمته السياسية التي جاء من أجلها، فكان خروجهما في العام 1810م إلى البادية للتعرف على أحوال البدو وحياتهم وتوحدهم بوجه العثمانيين الذين كانوا يحكمون المنطقة آنذاك لتسهيل غزو نابليون، فوصلا إلى صدد قاصدين تدمر فنزلا عند الشيخ عساف، ثم شاءت الظروف فتعرفا على الأمير ناصر ابن الأمير مهنا الفاضل المعروف بالملحم شيخ الحسنة فحلا ضيوفاً على هذه القبيلة، وقد تبين للفرنسي لاسكاريس أن مهنا وابنه يتبعون سياسة فرض سيطرتهم على القبائل بواسطة العثمانيين، وهكذا وبعد أن أقاما عدة أيام تحركا باتجاه حمام أبو رباح فيقول فتح الله:(وجدنا عمارات قديمة وكثيراً من الخراب، ثم وجدنا مخدعاً بقدر غرفة كبيرة لم تزل قائمة، وعمارته على الطريقة القديمة بحجارة كبيرة جداً وقد تهدم قسم من الحائط من جهة الباب فسدّ نصفه، فدخلنا الغرفة و وجدنا طاقة - يقصد في الأرض- من جهة الشرق طولها نحو ذراع وعرضها كذلك وبناؤها قديم جداً ويخرج من تلك الطاقة بخار عظيم بكثرة، فاغتسلنا ثم عدنا إلى صدد). وقد وصف الراحة والهدوء وذهاب التعب والمرض عنهما من فعل الحمّام. وبعد عدة أيام ولم يكن هناك أخبار جديدة فتوجها إلى القريتين فوصلا بعد أربع ساعات إلى مهين وحوارين، ووجدا في كل منهما نحو عشرين بيتاً لأن أكثرها كان خراباً، وكان لباس أهلهما كلباس العرب وكذلك كلامهم.

من مذكرات جرترود بل

جاء في رسالة المستشرقة جرترود بل (من موقعها على النت) المؤرخة بتاريخ 26 \ 5 \ 1900 م:

أنها جاءت من جيرود إلى مهين الأثرية مروراً بحمام أبو رباح حيث وقفت على التل وشاهدت انبعاث الهواء الحار من ثقوب في الأرض وأخبرها الدليل أحمد أن الحمامات تدمرت حيث لم تكن كذلك، ثم تابعت السير إلى مهين مروراً بحوارين واصفة آثارها بأنها مثيرة للاهتمام. وعند وصولها إلى مهين كانت مئات الإبل ترد على المياه هناك حيث وصلت لتوها مع عرب الحسنة الذين انتقلوا من أماكنهم الشتوية إلى أماكنهم الصيفية هنا، و قد بنوا خيامهم السوداء، و تمت دعوتها إلى العشاء من قبل الشيخ محمد الذي تقول أنه كان في العشرين من عمره وبخصره سيف ضخم، وقد لبت الدعوة وأهدت الشيخ محمد مسدساً في نهاية السهرة بعد نصيحة مرافقيها، ووصفت سهرتها في الخيمة حيث أصرّ الشيخ محمد على

أمه عندما قدِمت أن تجلس مكانه احتراماً وتقديراً لها، وقد أمضوا سهرتهم بعد العشاء على صوت الربابة والغناء الحزين الذي كان يناسب حياتهم القاسية، أما أخت الشيخ محمد والنساء كنّ يلبسن ثياباً طويلة تسحب على الأرض وكان عندهن من الكبرياء والنرجسية والأسلوب الفظ عندما أرادت التحدث معهن بداعي الفضول.

من قصر زنوبيا في (أبو رباح)

نظرة على عشائر المنطقة

الِحْسِنَة (الأحسنة): عشيرة صغيرة من ضنا مسلم وبطن الوهب وفخذ المنابهة، فهم بذلك أعمام الرولة والمحلف وأشقاء الولد علي الذين يؤلفون الفخذ الثاني من بطن الوهب، وقد غلب على ضنا مسلم فرعان الرولة والأحسنة. وعشيرة الأحسنة على قلة عددها وثروتها وانصرافها للاستقرار والتحضّر وامتلاك القرى والأرض قرب حمص لا تزال تُعد مرهوبة الجانب، ذلك لما لها من صفحات خالدة في معاركها، ورؤساؤها آل الملحم كرماء وذو ماض مجيد في الفروسية، ولهم مقام رفيع في عنزة. وفي رأي المحققين هم مع الولد علي السابقون إلى القدوم إلى بلاد الشام من بين عنزة كلها من الحجاز في أواسط القرن الحادي عشر، ويوجد فرع ثان لهم يسمون المصاليخ يتبعون لواء المهنا، ويعدون من حواشيهم. والصور التالية لإبل الحسنة وهي ترد على مياه مهين في العام 1900م بكاميرا جرترود بل.

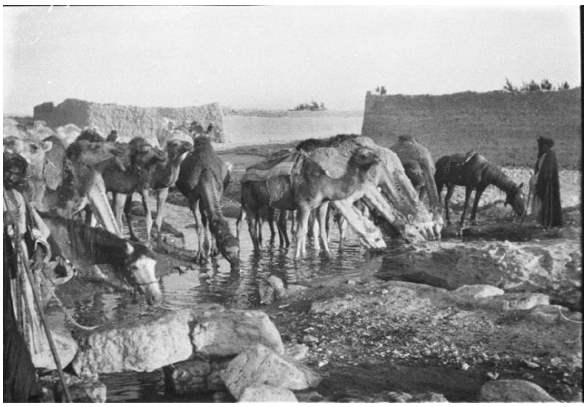

(1)

(2)

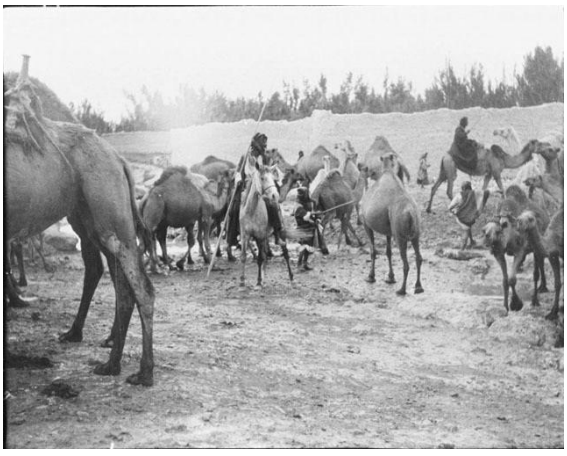

(3)

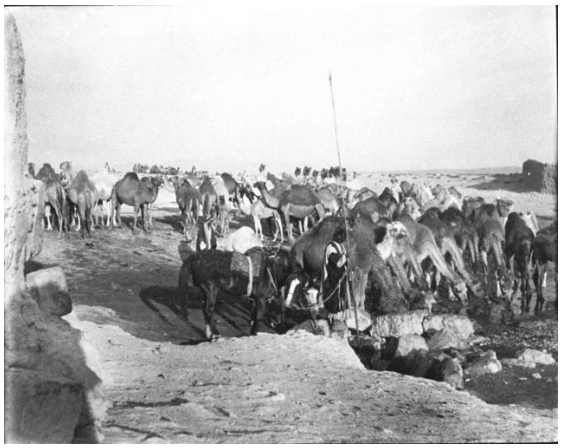

(4)

وكان الأحسنة والمصاليخ يأخذون أتاوات من القوافل المارة من الشام إلى العراق كما يأخذون خوّات من القرى المتطرفة كما ذُكر في كتاب عشائر الشام.

ومن الأحداث الجديرة بالذكر في أراضي المنطقة، الخلاف الذي حصل بين عشيرتي الأحسنة والنعيم على أراضٍ من أملاك الدولة في موقع النهدين قرب مهين، وكان الفريقان طلبا إحياءها من إدارة أملاك الدولة ولم يحيوها خلال المدة المضروبة، ثم سبق الشيخ طراد الملحم ووضع يده عليها فعارضه النعيم وشكوه محتجين بأنهم أقدم منه في الطلب، وقضت لجنة تحكيم بتفويض الأرض للشيخ طراد وآخرون من رجالهم وعبيدهم فأكرهت الحكومة النعيم على الانسحاب نحو القرى في السلمية، ولكن الفتنة لم ترقد، وظل الاعتداء قائماً بين الطرفين، وجاء اثنان من النعيم إلى دمشق وقتلا الشيخ طراد الملحم في ساحة المرجة عام 1946 م واستلم بعده ابنه الشيخ ثامر، وأُبعد النعيم إلى البلعاس. وبالنسبة للأحسنة فبعضهم يقيّظ في الضيع التي أقاموها وبعضهم الآخر كالمصاليخ يبلغون سهل البقاع وأنحاء بعلبك، وفي الخريف يفِدون إلى حسية وصدد، فإذا حلّ الشتاء ينجعون إلى الحماد ويلحقون الرولة وسبيلهم إلى الحماد صدد ومهين وحوارين والقريتين وعين الباردة وعين هلبا في جنوب تدمر ومنتهاهم داخل الحدود العراقية في منطقة الخبرات قرب الرولة ومعهم، إلا أنهم لا يوغلون في الحماد بقدر الرولة، ولا يتجاوزن جبل التنف وخبرة الزرقة، وأكثر الغنامة من الحسنة لا يتجاوزون القريتين. وفي الصيف تجذبهم بحيرة قطينة، وهم في الجملة أصبحوا لا يُعدّون من أهل الإبل ولا من أهل الشياه بل هم بين بين، وقد قصرت مدى نجعتها عما قبل إلا المصاليخ فإنهم قد يبلغون الجوف في إيغالهم في الحماد. ويعرف من آل ملحم فرع آخر اسمه القبلان ولهم لواحق هم عمور الملحم وكذلك الفواعرة الذين يُعدون من الموالي وهم ليسوا من نبعة واحدة وأصبحوا أحلاف الأحسنة وهؤلاء يحيون أراض من أملاك الدولة شمال شرقي الفرقلس في عين مران، وفي موقع اسمه غدير شريفة، وفي قرية أليسة غربي الفرقلس ولهم صلات مع أهل حمص والقرى المحيطة، ولهم مع الحمصيين شراكة واسعة بالغنم ومنتجاتها (عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا المنشور عام 1945 م).

توضيح مشجر بني الوهب: بني الوهب من ضنا مسلم من عنزة.

ومن **الوهب**: أ- **المنابهة** ب- ولدعلي جـ- الشراعبة.

ومن **المنابهة**: 1- **الحسنة** 2- **المصاليخ** 3- الفقرا 4- الخماعلة.

ومن **الحسنة**: 1- **الملحم** 2- الشمسي 3- الجهيّم 4- العويمر 5- القضبا 6- المدلج

أصل سكان مهين وعددهم

لقد ميّز ابن خلدون ثلاث فئات من السكان هم البدو والأعراب والحضر، فالبداوة ترتكز على القبيلة والترحال الدائم، أما الأعراب فهم تجمعات البدو المستقرين في قرى الأرياف والواحات ويقيمون نمط إنتاج زراعي، وهم نواة مرحلة انتقالية بين نظام البداوة والتحضر، وهذا ما ينطبق بشكل ما على مجتمع مهين لفترة طويلة من الزمن. وقد وجدت في موقع ويب يدعى التاريخ السوري المعاصر احصاءات لعدد السكان في سوريا أُخِذت من الأرشيف العثماني 1904 م، وكما يظهر في الصورة التالية كان عدد سكان مهين 680 نسمة 370 ذكور و310 إناث مما يعني أن عدد الأسر حينها يتراوح بين 100 و 120 أسرة ويكون عدد البيوت أقل من ذلك على الأغلب.

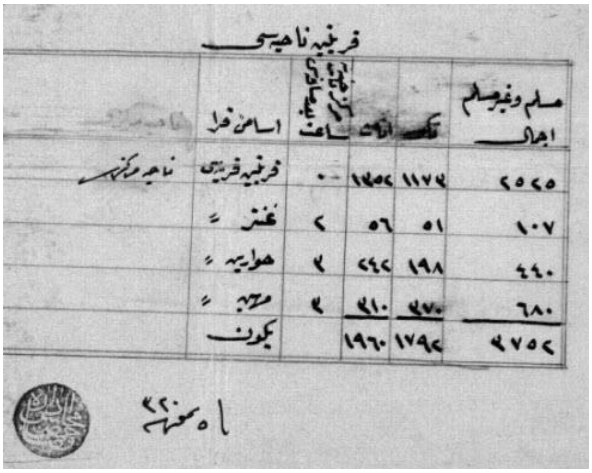

ناحية القريتين وقراها

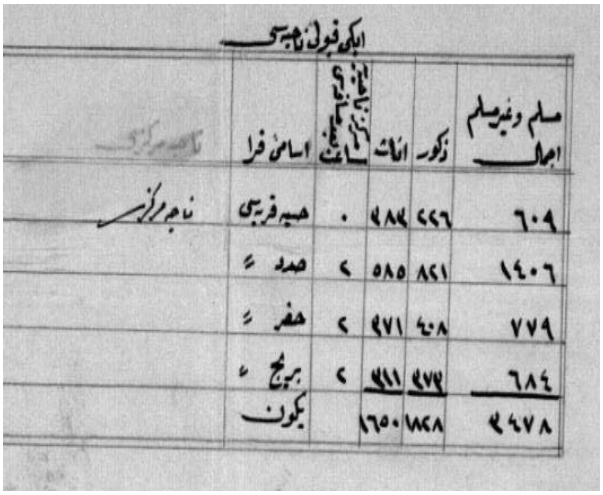

ناحية حسياء وقراها

وفي البحث عن أصول سكان مهين لن يكون البحث سهلاً أبداً، و خاصة أنه لا أحد يملك وثيقة تثبت أصوله أو نسبه، وهذا له أسبابه التاريخية وعدم اهتمام الناس بالتوثيق حتى بالحفظ، فالأمية منتشرة بشكل كبير، وتعاقبت الأجيال على نوع من التحضر لنبذ كل ما يمتّ إلى الانتماء العشائري بصلة، وخاصة في القرى والمدن التي ليست من عشيرة واحدة، وقد ساهمت الحكومات المتعاقبة في هذا الأمر فالانتماء للوطن ليس إلا، وماعدا ذلك جاهلية مقيتة. وزاد التركيز على هذا من خلال انتشار المدارس بعد استقرار الناس في القرى والمدن بدل حياة البدو والتنقل. كما أنّ ظهور الأحزاب السياسية في عهد الدعوة إلى القومية والعروبة ساهم بشكل كبير بتفكيك عرى كثير من التكتلات العشائرية من خلال النظريات المطروحة وحدّ من تأثيرها، ووجّه هذه التكتلات بما يتناسب مع أهداف هذه الأحزاب. ومع هذا يمكن استقراء الحالة الأعرابية أو الحالة الحضرية في بنية مجتمع مهين قليل العدد والتي لا يتجاوز عدد سكانها عشرين الف نسمة على أعلى تقدير في العام 2011 م.

يمكن القول أنّ تأسيس أي قرية والبناء على أرضها يبدأ من أهلية هذه الأرض للاستعمار والسكن، و أهمها وجود الماء، وبما أن الماء موجود وعلى شكل ينابيع قريبة من سطح الأرض فأقرب الناس مسافة هم الأولى ببدء وضع أول لبنة فيها، ومع أن مهين ومنطقتها كانت في فترة ما مزدهرة بالحياة إلا أنها باتت خراباً في فترة أخرى تلتها، ولكن ما زالت قوافل البدو ترد على عين الماء بإبلها ومواشيها أثناء ذهابها وإيابها إلى الحماد حسب المواسم كما مر سابقاً، وبما أن مهين ليست من ضيع عرب الحسنة التي بنوها وليست من ضيع قبائل أخرى، فأغلب الظن أن أفراداً من حواشي القبائل القريبة أو ممن احتموا بها كما يحدث عادة لقبائل صغيرة أو أفراد يحتمون بقبائل معروفة ويصبحون كأنهم من أفرادها هم من أصلح بعض البيوت الخربة واستقر فيها معتمدين في حمايتهم على نفس هذه القبائل القريبة في المنطقة، فإذا أخذنا بالاعتبار أن عام 1810 م كان في مهين عشرون بيتاً فقط كما ورد في رحلة فتح الله الصايغ، فإن العمر الافتراضي لهذه البيوت المأهولة لا يزيد على مئة عام بين مد وجزر من عدد السكان، وغالباً ما يكون هؤلاء ذوو قربى، إلى أن زاد الاهتمام بالمكان وجلب إليه آخرين من مناطق أخرى لأسباب كثيرة معروفة، ولكن لكل شخص مشكلته الخاصة التي يعلنها أو يخفيها حسب ما يتبع ذلك من خطر على حياته، وبذلك يكون النشوء السكاني لبلدة مهين الحالية هو حوالي العام 1700 م والله أعلم.

إنّ الدراسة المجتمعية للعائلات تؤكد وجود بعض العادات البدوية الراسخة في عدد منها رغم التطور المدني والتعليمي والانفتاح على ثقافات مجتمعية أخرى في القرى والمدن المحيطة، فهناك عائلات تشكل عشيرة مع بعضها وتعيش في نمط يشبه القبيلة، ولكن بمجلس كبار السن وليس بأمير أو شيخ، فيُسمع لهم في حالات الفرح ومجالس العزاء والعداوة مع الآخرين، ومازال بعضهم يقتني الماشية وبيوت الشعر ويخيم في المراعي خارج البلدة، وربما خارج منطقتها، بالإضافة إلى حدوث غالب حالات الزواج ضمنها، إلا أن هذا الأمر بدأ يقل نوعاً ما بسبب زيادة نسبة المتعلمين والذي أصبح لا يقتصر على مراحل التعليم الدنيا للبنات ولكن تعداه إلى التعليم الجامعي منذ بداية القرن الحالي، كما توجد عائلات لا تهتم للحالة العشائرية أو القبلية أبداً، وتعيش منذ القدم حياة حضرية صرفة في كل شؤون حياتها.

من الروايات المحلية المتداولة عن أولى العائلات التي استقرت في أرض مهين عائلة الصليبي والخليل و من ثم تلتها العائلات الأخرى.

يوجد في مهين حوالي ستون كنية مختلفة ويتفرع عنها أربعون أخرى وهذا لا يعني بالضرورة أنها ذات أصول مختلفة أبداً، ولكن مع مرور الزمن وازدياد عدد الأفراد لكل عشيرة والتي تعني عدداً من الأجداد، جعل منها منفصلة ومستقلة، وخاصة بعد الاعتماد على الكنى كمعيار القرابة بشكل عام، وليس القبيلة. و من أهم الأسباب التي أرى أنها أدت إلى تعدد الكنى مع أنها من عشيرة واحدة هو تسجيل النفوس الأول الذي بدأه العثمانيون وما تلاه في تسجيل النفوس اللاحق بعد وضع الحدود بين الدول العربية، ومن ثم مراكز النفوس الموزعة في المناطق والتي لم تكن كما هي اليوم في مراكز النواحي،

فيتم تسجيل الأشخاص حسب شهرتهم فينقطعون عن الجد الأكبر، ويتبعون أحد أولاده أو أحفاده، وخاصة أن أساليب التسجيل لم تكن بذاك التنظيم المعروف عنه اليوم.

إنّ انقسام بعض العائلات واستقرارها في أماكن أخرى ما هو إلا بسبب الظروف المعيشية الصعبة التي كانت تمر بها المنطقة أو الخلافات العائلية التي تكون عادة بسبب الخلاف الناشئ عن ملكية الارض وغيرها. ويُذكر أيضاً أن بعض الشباب كان يبتعد عن أهله هرباً من التجنيد في العهد العثماني أو يهرب منه بحجة أنه يتم بعيداً جداً عن موطنه الأصلي، وقد يُتِمّ فترة تجنيده ولا يتمكن من العودة إلى بلده لصعوبة التنقل آنذاك، فيجد في مكانه الجديد إمكانية الزواج والاستقرار.

أما عن القبائل التي تدّعي عائلات مهين أنها تنتسب إليها فهي كثيرة نسبياً، وقد وجدت عدم الاتفاق عند بعضها في القول الفصل بنسبها، بسبب عدم التوثيق، والنسيان، لاعتماده على الذاكرة، ومن هذه القبائل عنزة ونمر بن قاسط والموالي وبني خالد والمصاليخ والرحبيين البوناصر وغوث وبني صخر وطي وغيرها، وبالتالي فإن وجود هذا العدد من القبائل الكثيرة وغير المتجانسة ممثلة بالعائلات في هذه البقعة الصغيرة من الأرض يفيد بوجود مجتمع معقد التركيب، وفيه الكثير من الأمزجة المختلفة التي تقبع تحتها صيحات القبيلة المتعارف عليها أثناء بدء الغزو أو صدّه، ولكن الأمور ليست بهذا الاتجاه دائماً، فقد يعتبرها الكثيرون مجرد فوران قهوة لا يلبث أن ينتهي بوقته. فالزواج الذي يحدث بين أفراد العائلات المختلفة جعل منها متقاربة أكثر وخفف من التعصبات القبلية، بالإضافة إلى الوعي والتنوير الديني.

وفي موضوع دقة الأنساب والانتساب إلى القبائل كثير من الآراء والنظريات، والتي تُجمِع في معظمها على عدم دقتها بل وتَعمّد الكذب فيها وخاصة عندما يتعلق الأمر بالنسب لآل البيت أو إلى قبيلة ذات سمعة طيبة. ومن الأسباب المؤثرة في الدقة:

1) التبني الذي كان شائعاً قبل الإسلام ونكاح الجاهلية المختلف عما هو في الإسلام.
2) تأخر التدوين والتوثيق، ووجود أخطاء بشرية كالنسيان.
3) التخفي من الثأر، والهجرة، والتشتت وتغيير الاسم، وتغيير القبيلة.

وفي حالتنا الفريدة هذه، من حق البعض أن يسأل عن الأسباب الحقيقية التي جعلت شخصاً ما من قبيلة مشهورة ومعروفة ولها وزنها أن يتركها ويأتي إلى هذه البقعة من الأرض البعيدة عن تجمع قبيلته ليعيش فيها وحيداً. وسأترك للقارئ حرية تصور هذه الأسباب التي لاتشبه تلك التي ذكرتها في تعدد الكنى واختلاف أماكن تواجدها واستقرارها.

ومع هذا الاختلاف القبائلي بين السكان، يجدر بنا أن نذكر بعض القضايا المهمة التي تميز هذا التجمع الفريد، فقد كانوا على قلب رجل واحد في علاقاتهم تجاه أي مسألة تمس كيانهم وأمنهم، فلم يتمكن منهم الأغوات رغم قربهم منهم في حوارين والحدث والغنثر.

ومن القصص المتداولة: قصة الآغا الذي اشترى عدداً من البساتين القريبة من مدخل الكروم حالياً ليتمكن من شراء الباقي واستغلال الناس والتحكم بحياتهم، ولكن الأهالي استشعروا خطره وبادروا بالكيد له والتخلص من شره قبل أن يتمكن منهم، فكان أن جعلوا الطرش يرعى في زرعه، وقام أحدهم بقتل أحد رجاله الذين يعتمد عليهم، ولم يكتفوا بذلك فقد بالغوا في استحقاره ووضعوا على باب داره (الخراء)، فكانت آخر أيامه عندهم.

وفي وقوفهم في وجه البدو ممن اعتادوا التعدي على القرى فقد تمت متابعة أحد أفراد عرب أبو حمرة وقتله، وحينما جاؤوا للمطالبة بالقاتل من أهالي مهين، وقد أصروا على عدم دفن قتيلهم حتى يأخذوا بالثأر، قال لهم المختار علي العبد الله آنذاك والذي كان يتصف بالفطنة وفصاحة اللسان: لا أتكلم معكم إلا بوجود شيخكم أبو حمرة - مع أنه كان يعرف بوجوده بينهم- فعرّف عن نفسه شيخهم أبو حمرة فقال له علي العبد الله: إن ذكرتم الله يا شيخ، بالنهار ضيوف، وبالليل حيوف، وبيوتنا مفتوحة لكم، وكرومنا على حسابكم، ورجل ناطور لكرمه ولا يعلم السارق من يكون. وبعد أن ساد الصمت قليلاً تهامس الشيخ أبو حمرة مع رجاله ثم قال بصوت مسموع: يا جماعة الخير، ما لنا عند أهل مهين شيء، والميت الله يرحمه، روحوا ادفنوه.

أما عن دفع الخوّة والإتاوات التي كانت مقررة بفرمان عثماني فلم يكن لهم خيار إلا الدفع كغيرهم، ولكنهم كانوا يملكون هامشاً من المماطلة والتهرب إلى حين، فقد روي أن ما يسمى بعدّاد الرفاش، وهو الرجل المكلف من قبل الحسنة بجباية الإتاوات، وقف أمام طرش القرية وأخذ منها بقدر ما سُجّل في دفتره من الماعز بعد مماطلة أصحابها بالدفع.

وعن حياة السكان المتجهة نحو الحداثة والتحضر والتي تودع حياة الأعراب شيئاً فشيئاً نذكر في الماضي القريب أن السيد نواف السلطان أبو فواز كان آخر رجل عرفته مهين يقتني فرساً كعادة الأجداد يتنقل عليها داخل البلدة ويسافر إلى القرى القريبة المجاورة، وكان يهتم بها وبنظافتها وزينتها فهي تمثل له كنزاً ثميناً، فلم يفرط بها حتى توفاه الله.

وعرفت مهين آخر رجل كان يقتني كلبين سلوقيين للصيد في الماضي القريب أيضاً هو السيد حمادي الشاوي كانا يتبعانه في خروجه إلى البرية إلى أن توفاه الله.

أما بالنسبة لتربية الماشية فمازال بعض الأشخاص من آل حمود وزرقة وجراح وحرب وآخرين يملكون عدداً جيداً منها، ويمكن أن نطلق عليهم عرب الديرة حيث يخيمون معها خارج البلدة للرعي، رغم استقرارهم في البلدة، واعتماد بعضهم على الزراعة أيضاً.

وإلى ثمانينات القرن الماضي كان معظم الناس يقتنون ماعزاً أو أكثر لتُجْمَع في الصباح الباكر مع راعيين في قطيعين منفصلين مقابل أجر متفق عليه، ليذهب قطيع (طرش) منهما مع بدوي سكن في القرية اسمه (عجيل) والآخر مع جدّوع العصير من أهالي القرية، يذهبان إلى البرية القريبة لترعى ثم

يعودان مساءً، فكانت الشوارع تضج بالنساء والأولاد والماعز قبل بزوغ الشمس بقليل حيث يتم تجميع أحد القطيعين في ساحة العين والآخر قرب دار محمد الجمعة القدور القديمة.

المياه في البلدة

يتوسط بلدة مهين ساحتها التي تدعى ساحة العين أو العين اختصاراً، إذ كان بجانب الساحة من جهتها الشمالية مجرى ماء طبيعي ليتحول عبر الزمن إلى واد ضخم يعرف بـ (**عين الكبيرة**)، يضيق في البداية والنهاية ويتسع كثيراً مقابل الساحة، وكان يمتد من جانب دار زياد الموسى حالياً من جهة الغرب إلى جانب دار خلف الموسى شرقاً، وقد اختفى هذا الوادي الذي جف ماؤه حوالي العم 1985 م تحت جامع مهين الكبير والجسور والأبنية كما يلي: دار جدوع العصير ثم جسر (بني الجسر على الوادي كطريق رئيسي للقادمين من جهة الشمال وجهة الغرب إلى ساحة العين) ثم جامع مهين الكبير ثم جسر صغير (بني هذا الجسر من الجانب الشرقي للجامع كطريق) ثم بناء الجمعية الاستهلاكية والهلال الأحمر ثم بيت نجم الأسعد، وتم دفن الباقي حتى دار خلف الموسى وظهرت أبنية في ذات المكان مؤخراً.

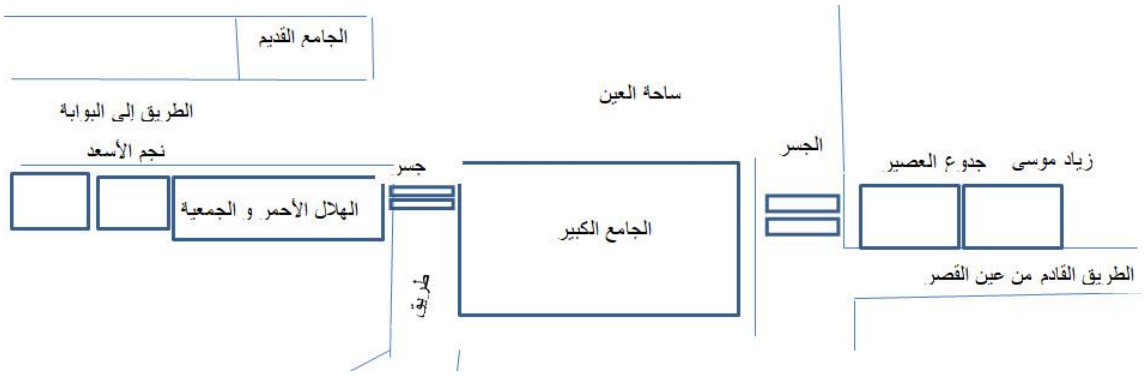

مخطط لمجرى عين الكبيرة

وكان يتراوح عمق الوادي بين أربعة أمتار وستة أمتار، وأما عرضه مقابل الساحة فكان حوالي ثلاثين متراً تضيق بالقرب من الماء إلى عشرين متراً أو أكثر. وكان النزول إلى الماء بمنحدر رتّبه الأهالي ليسهّل النزول والصعود، وعملوا مكاناً للوضوء حيث كان مسجد البلدة القديم بجانب الساحة (بني مكانه محلات وشقة صغيرة مقابل الجمعية الاستهلاكية) فعمدوا إلى بناء غرفة من الخشب وصفائح التوتياء في جانب المنحدر، وفي وسط الماء وضعت بعض الحجارة الكبيرة على الجوانب من الداخل ليقف عليها من أراد الوضوء. وقبل بناء جامع مهين الكبير فوق مجرى العين كان يغطي جزءاً منها من الجهة الشمالية سقف اسمنتي متهالك يرتفع على طرفه الجنوبي جدار فيه عدة فتحات كنوافذ ومن جهة الغرب

يرتفع درج، وقد تبين أنه مشروع فاشل لبناء جامع هنا، وقد عزيت أسباب الفشل إلى عدم دراسة المشروع بشكل صحيح فوق المجرى بالإضافة إلى التكلفة والغش.

وكانت النسوة آنذاك ينزلن إلى الماء تحت هذا السقف حيث أن عمق الماء لا يتجاوز النصف متر، فيغسلن الثياب وينظفن الأواني، مستندات إلى حجارة كبيرة وضعت خصيصاً للجلوس عليها وسط الماء، أو لخبط الثوب عليها بمخباط خشبي، فإذا أردن ماء للشرب عمدن إلى الينابيع التي كانت في الأطراف فيملأن أوعيتهن بواسطة وعاء صغير (زبدية أو ابريق)، وكان هذا العمل يكرر في اليوم عدة مرات حسب حاجة الأسرة للماء. وكان الأولاد يسبحون في مياه العين تحت الجسر بسبب ازدياد عمقها باتجاه الغرب فكانوا يرمون بأنفسهم من فوق الجسر ويسبحون باتجاه دار جدوع ويعودون.

تجري المياه بساقية موجهة إلى الكروم، ويتم تعزيل العين والسواقي كل عام، فينقص المنسوب ويزداد عمقها شيئاً فشيئاً إلى أن وصل عمق الساقية بعد خروجها من العين بين المتر الواحد والمترين. وكانت الكروم في الجهة الشمالية من البلدة منخفضة عن هذا المستوى، حتى جاء اليوم الذي اضطروا فيه لرفع الماء بمضخة الديزل واستخدموا البواري في بعض الأماكن لتصب المياه بعدها بسواقي اسمنتية تصل إلى الكروم. وكانت توجد عين ماء أخرى مقابل دار عبد الخالق الحرب حالياً تدعى عين الصغيرة (**عين الزغيرة**) وشكلها دائري تقريباً بقطر يصل إلى العشرين متراً، وهي ليست عميقة فلا يمكن السباحة فيها، وقد استخدمتها النساء في غسل الثياب وجلي الأواني، وكانت مياهها تلتقي مع المياه القادمة من عين الكبيرة لتذهب في إحدى ساقيتين إلى الكروم وفق ما يعرف بالمسكور وهو لوح من الحديد السميك يدخل في سكتين عمودياً لحجز الماء وفق توزيع المياه الذي كان يعرف بالعدّان. أما ماء العين الثالثة فكانت قريبة من عين الصغيرة بعدة أمتار وتسمى (**عين العوينة**)، ولكنها عبارة عن مجرى صغير وضيق يذهب ماؤه لسقي الكروم أيضاً مع مياه عين الكبيرة والصغيرة، وفي فترة نضوبهما تم جر مياه بئر ارتوازي حفر قرب دار عبدالكريم الجبريل شرقاً عبر بواري معدنية ضخمة تصب فيها، وقد استفاد منها الأهالي في سد حاجتهم لمياه الشرب والغسيل، فكانت النساء يملأن أوعيتهن كالسطل والدلو وجرة الفخار والقازان ويحملنها على رؤوسهن بعد وضع قطعة قماش ملفوفة كالكعكة لحماية الرأس تعرف بالحواي، وقد يستخدم البعض زوجاً من الروايا لنقل الماء وهي أوعية مطاطية كبيرة (مادتها كالمستخدم في صنع دواليب السيارات) يتوازن الاثنان منها على جانبي الحمار. وكانت الحركة دؤوبة في الصباح والمساء حيث تزداد الحاجة للماء مما جعل المكان مقصداً لسيران الفتيان والشباب حيث لا عمل لهم في هذه الفترة.

وفي أماكن أخرى من البلدة القديمة بقايا لقنوات جافة كانت تنتهي مياهها إلى الكروم شمالاً، ولكنها بقيت فترة من الزمن تنصرف منها مياه السيول القادمة من المرتفعات عبر الأزقّة حتى تغيرت معالم البلدة وشوارعها بعد شق الطرق وزيادة العمران الحديث، فلم يبق أي أثر لها.

الروايا لتعبئة الماء

وفي بعض الكروم كانت تشاهد بعض الحفر بمساحات مختلفة وعمق لا يتجاوز المتر والمترين حُفرت للحصول على ماء السقي وكانت تسمى **جيعة**، والبعض منها كان واسعاً وعميقاً وقد ركب عليها ما يشبه الناعورة وكانت تسمى الكرت وتدار بواسطة الحمار وقد شوهدت بأراضي جادالله السليمان وقاسم الإسماعيل الموسى وسالم الشاهر وفايز جراح ومحمد الطليقي المنصور وغيرهم.

الكرت لسحب الماء

وفي الأرض الشمالية للبلدة خارج منطقة العمران كانت توجد قنوات قديمة تم حفرها لاستعمال مائها للسقي وتصل إلى أراضي حوارين، ومن هذه القنوات قناة شريّا، وقناة حقول سليمان، وعين دلك قرب محطة القطار. وفي الجهة الشمالية الغربية كانت قناة عين القصر، ومازالت هناك بعض الفجارات المائية الضخمة (معروفة محلياً بالكواكب) وكلها جفت.

فجارات أو كواكب

في النصف الثاني من القرن الماضي حيث زحفت البيوت ممتدة إلى الجهة الغربية كان البعض يحفر آباراً بعدة أمتار حفراً يدوياً ويستخدم لسحب الماء الدلو والحبل مع البكرة أو الطرمبة ومنهم من استخدم السربس إلى عدة سنوات، ومن ثم عُرفت دواليب الهواء التي تُصنع في يبرود والنبك بعد انخفاض مستوى الماء الذي كان يتطلب على الأقل عشرين متراً من الحفر حسب المكان في القرية، وكانت هذه الدواليب تسحب الماء من البئر لتصب في برك اسمنتية معدة مسبقاً للاحتفاظ بالماء ليصار إلى استخدامه لاحقاً في السقي إلى أن وصلت الكهرباء للقرية فعلياً أول ثمانينات القرن الماضي، وعُرفت بعدها المضخات الكهربائية (الدينامو) والتي استخدمت على نطاق واسع مع انخفاض عدد دواليب الهواء.

وفي مرحلة لاحقة في بداية الثمانينات تم حفر أول بئر ارتوازية للقرية في الجهة الشرقية منها فخرجت الماء من البئر من تلقاء نفسها متجمعة في واد عريض، ثم تم سحب الماء بمضخة تعمل على الديزل لتصب في حوض مرتفع من الاسمنت المسلح، ثم لتذهب في بواري ضخمة تحت الأرض إلى عين العوينة كما ذكر سابقاً، واستبدلت المضخات بعدها بالمضخات الكهربائية، كما تم في هذه السنوات بناء خزان ضخم في طرف البلدة الجنوبي على سفح الجبل ومدت البواري بعد حفر الشوارع ووصلت مياه الحنفية للمنازل، وإن لم تكن بشكل دائم، ولكنها كفت كثيراً من النساء حمل الجرار وملئها من مياه العين أو من مياه جب عند الجيران.

طرمبة

دولاب هواء

وعن توزيع المياه لسقي الكروم كان الفلاحون يعملون بالتوقيت العربي الذي يعتبر أن الشمس تغيب الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق دائماً في كل الفصول، وآذان المغرب على الساعة الثانية عشرة تماماً وكانت الحصص غير متساوية ربما بسبب تقاسم الإخوة للأراضي بعد وفاة الأب أو بيعها أو بيع جزء منها. وتعرف حصة العائلة بالعدّان مثل عدّان بيت عبدالله وعدّان بيت قدور وعدّان بيت هدروس وعدّان بيت حمود وعدّان بيت موسى العلي وعدّان بيت حسين الشيخ وعدّان بيت أبوعلي وعدّان بيت الشيخ محمد وعدّان بيت ضعيّف وعدّان الشيوخ.

ومن المصطلحات المستخدمة في العدّانات:

الدوب: وهو زمن وصول الماء من المنبع لغاية مكان معين من الكروم.

الكيلة: وهي اجتماع أصحاب العدّانات في بيت أحدهم لضبط ساعته على وقت مغيب الشمس حيث لا تتوفر هذه الساعة لدى الجميع قديما ويسمونه الكيّال.

الحدرة: وهي الزمن الذي يستغرقه الشخص من بيته أو من بيت الكيّال للوصول إلى المسكور لتغيير اتجاه المياه نحو كرمه حيث لا تتوفر لديه ساعة.

وعن مياه البلدة فهي نظيفة بشكل عام وخالية من التلوث وتشرب مباشرة بعد خروجها من البئر، ولا يوجد فيها أي طعم غريب. وأما ما يشاع عنها بأنها ثقيلة فهذا يعود لتبرير خشونة طبع الأهالي الذين مازالوا يعيشون حياة البداوة والعشيرة ولم ينغمسوا بعد في المدنية التي بدأوها منذ عهد قريب، فالأمية منتشرة بشكل كبير، ومازال الناس يعتمدون في رزقهم على ما تنتجه الأرض، وعلى عدد من المواشي، فالمرأة تعمل إلى جانب الرجل، بل تزيد عنه في تربية الأطفال والطبخ والتنظيف وجمع الحطب. وبحكم أن القرية بعيدة عن المدن وقلما يأتيها إلا البدو ومن هم في جوارها من القرى، فاستمر الحال على ما هو عليه من الحياة القاسية وشظف العيش وعدم ليونة المعشر، فغلب طبع العجلة والنزق وإظهار القوة للآخر و رفع الصوت بعفوية ودون سبب، سوى الحذر وكشف النوايا. والتعويل على حماية العشيرة يدفع في هذا الاتجاه، وكأنها غزوة من غزوات البدو مع أن في النفوس طيبة كبيرة وبساطة لا تخطئها عين، ويأتي التبرير وهو أن مياهنا قاسية أو ثقيلة، وهذا لا يعدو عن كونه تراجع عما سلف واعتذار مبطن. ولكن مع دخول الناس في المدنية الحديثة وزيادة الوعي والاختلاط مع مجتمعات مختلفة وتلاقح الثقافات ونبذ كثير من العادات الموروثة لم يبق من هذا الإرث البدوي إلا القليل، وعند عدد قليل ممن مازالوا يربطون مصيرهم بالعشيرة. وقد استغل سكان القرى المجاورة وخاصة القريتين هذا الأمر وجعله مادة خصبة للنكتة والتندر ولو على سبيل المزاح والإضحاك، فكان الرد بالمثل بتأليف النكت والنوادر، وأعتقد أن هذا الأمر قلّ كثيراً وفي طريقه إلى الزوال بسبب المصاهرات وتعاقب الأجيال.

وصول الكهرباء

إن السراج والفانوس واللكص هي وسائل الإضاءة في البيوت قبل وصول الكهرباء، فتنظف بلورة السراج منذ الصباح بعد عمله طوال الليل، حيث يترك أثناء النوم بضوء خفيف، ويملأ بالكاز ليكون جاهزاً في المساء، فإذا كانت السهرة في منزول أحدهم فيستخدم اللكص الذي يعمل بالكاز أيضاً ويجهز قميصه الذي يضيء، وربما يحضر قميصاً احتياطاً فقد تضربه فراشة إن لم تكن عليه بلورة الحماية أو يسقط من تلقاء نفسه لانتهاء عمره الافتراضي. ويعلق اللكص عادة في سيخ نازل من السقف أو بزرد في نهايته خطاف أو يعلق على الجدار.

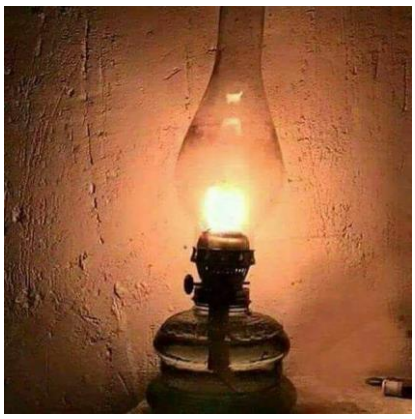

سراج

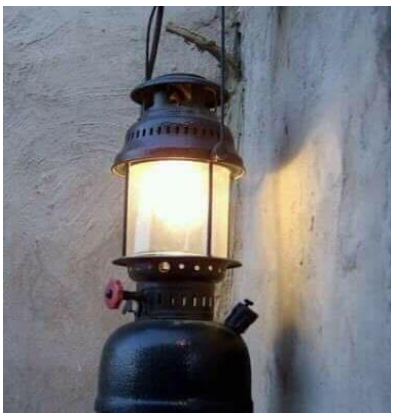

لكص

قميص اللكص

في ستينات وسبعينات القرن الماضي كان التلاميذ يضعون السراج على يسارهم على الأرض أو على مسند ليكتبوا ويقرؤوا ويحضّروا دروسهم، فالسهرة قصيرة حتى ولو كانت مع الجيران فسرعان ما يدبّ النعاس في الجفون. وفي نهاية السبعينات تم تركيب موتورات ضخمة لتوليد الكهرباء في مركز الكهرباء الحالي وكانت تعمل لفترات متقطّعة مقسّمة على الأحياء، وكان تلفزيون السيرونكس الأبيض والأسود ذو الشاشة الكبيرة (24 بوصة) يتصدر بعض البيوت، وقد كان ثمنه (1425 ليرة سورية) وكانت له ضريبة سنوية (150 ليرة)، فكان الجيران يجتمعون ليلاً للسهر عند من حاز عليه لمتابعة احدى المسلسلات البدوية حيث كانت تعرض قصة ساري العبدالله آنذاك.

وفي حوالي العام 1978 م احترقت الموتورات الكهربائية بسبب الإهمال أثناء تعبئتها بالوقود وحرمت البلدة من الكهرباء إلى أن تم توصيل التوتر العالي بشكل نظامي.

حركة العمل والاقتصاد

لم تكن الأراضي بين حمص وتدمر قفراء كما حالها الآن فقد كانت عامرة إلى زمن الرومان، فالمزارع وأشجار الزيتون والعنب تغطي مناطق واسعة منها، وقد دلل على ذلك وجود أكثر من عشرين رحى من الحجر البازلتي الضخم في منطقة الفرقلس لعصر الزيتون والعنب، ومازالت إلى الآن بقايا تلك المعاصر، أضف إلى ذلك بقاء جيوش أورليان في تدمر فترة من الزمن دون حصول أي مشكلة غذائية، فالمنطقة كثيفة سكانياً أصلاً، وبالتالي لا بد من الاعتماد على غير تدمر لتأمين الطعام لهذه الجيوش.

وفي حمص أيضاً يوجد عدد من المعاصر المبنية من الحجر البازلتي وتوجد الطواحين التي كانت تخدّم حمص وما حولها، فالزراعة مزدهرة في مراحل مختلفة من التاريخ فمجيء أورليان وحربه على تدمر لم يسلم منه حجر ولا شجر، وكذلك حرب سيف الدولة مع قبائل العرب فعل فعله في الخراب والتدمير. ولم يكن وضع المزارعين أفضل حالاً في عهود تالية فالدولة تأخذ العشر والبدوي يأخذ الخوّة أو يسطو على المزارع وحتى أنه لم يسلم من نظرات ازدراء أهل المدينة إليه بسبب حالته البائسة، وكان يعمل عند الملاكين مع كامل أسرته كالعبيد.

ومن الحوادث الغريبة التي ذكرها أحد مؤلفي كتاب أسر حمص قال: (قصدت صدد لعمل لي فلما بلغت قرية الفحيلة حتى وجدت هرجاً ومرجاً بين البدو وأهلها وبعد السؤال علمت أن أحد شيوخ البدو رمى في أرض تلك القرية فرسه الميتة فسلخ أهلُها جلد فرسه فعدّ ذلك إهانة لا تطاق، وما رضي منهم سبعين مجيدياً ثمن السكوت إلا بعد ألف رجاء. ولما بلغت صدد رأيت مثل ذلك فسألت متعجباً من تعدد تلك الحوادث التي علمت بعد ذلك أنها لا تنتهي فقيل لي أنّ بدوياً مرّ بقرب القرية فعواه أحد كلابها فرماه بنار بندقيته فقتله ولكنّ البندقية تعطلت فوهتها عند خروج الطلقة فهو يطلب ثمنها ولم يعد إلا بعد أخذه خمسة عشر مجيدياً إلى أن يستوفي تتمة ثمنها في العودة. وفي عودتي مررت بقرية الرقامة فوجدت جنوداً وعرباً وقروبين في أخذ و رد ولدى الاستعلام أخبرت أنّ الجند عند الحصاد ردّوا البدو عن نهب الزرع وفي أثناء ذلك قتلوا أحدهم، فالبدو يطلبون ثمن دمه من أهل القرية، وعلمت أنهم أخذوا منهم دية مئة وسبعين ليرة عثمانية بعد رجاء أحد أعيان حمص ولولاه ما قبلوا هذه القيمة.)

كانت القرى التي على جوانب الطرق تخرب قبل غيرها بسبب الغزاة والفاتحين، وكان قديماً إذا غضب صاحب السلطة أو الاقطاع في إقليم أو قرية فدليل قوته وبطشه أن يخرب أو يحرق أو يدمر فيذهب شجر الفلاح وزرعه ورزقه وتعبه وماشيته هباء منثوراً ليكون عبرة لغيره، هذا علاوة على العقوبات الجماعية التي كانت تطال القرى الثائرة على المظالم في أنظمة الادارة الفاسدة للسلاطين أو الحكومات المتعاقبة، هذا إذا ما سبقت الكوارث الطبيعية للنيل من الفلاح و المزارع ومربي الماشية كالزلازل والأوبئة والقحط من قلة الأمطار أو الفيضانات أو انتشار الجراد والقوارض، وقد ذكر

مؤرخون أن القرى والمدن كانت تتناقص بدل أن تزيد فكانت حلب مثلاً تضم 3200 قرية في عهد سابق للقرن الحادي عشر فأصبحت فيه حوالي 400 قرية وهكذا كل المناطق، فلا رحمة من جيوش مدمرة أو إدارات فاسدة أو هجمات البدو التي كانت شائعة، وبالنتيجة يبرز القوي ويظهر ويتملك.

دولت علیه عثمانیه تذکره سیدی

اسم وشهرتی	پدری اسمیله محل اقامتی	والده‌سی اسمیله محل اقامتی	تاریخ و محل ولادتی	ملتی	صنعت و صفت و خدمت و انتخاب ملاحیتی	متأهل و زوجه‌سی متعدد اولوب اولدیغی	درجات و صنوف عسکریه‌سی
عمار الضعيف	نوعه ابله الضعيف	نوره صالحه الضعيف	١٢٧٥	اسلام	حقلي	بيوزه واحد	نفوسه

اشكالی				سجل نفوسه قيد اولنان محل	
يوی	كوز	سيما	علامت فارقه ثابته	ولايتی	قضاسی	محل وقريه‌سی	زقاقی
اودة	واسع	بنيه	ثابته	سوريه	حمص		

بالاده اسم وشهرت وحال وسنی محرر الاذن عمار [illegible] ضعيف اولدقلرنك تابعيتی حائز اولوب اول صورتله جريدهٔ نفوسده مقيد اولديغی مشعر اشبو تذكره اعطا قلندی

وثيقة نفوس عثمانية لعمار الضعيف وهي بمثابة هوية والمهنة مزارع

يذكر مؤلف كتاب خطط الشام أن كثيراً من القرى تنازل عنها ملاكها لأصحاب النفوذ ليحموهم من ظلم الحكام والمرابين وأخذو ثمنها بضع عباءات وغلايين أو قفّة من البن أو رطلا من الدخان، ومن الأراضي ما توسل أهلها إلى أرباب المكانة أن يسجلوها في دائرة التمليك بأسمائهم لما شرعت الدولة العثمانية 1882 م بتسجيل الأملاك على أصحابها وذلك فراراً من ظلم عمال تلك الحكومة ومن وضع الرسم المعتاد، ومنهم من تخلوا للأعيان عن أراض عانوا مع آبائهم زراعتها زمناً طويلاً تخلصاً من تسجيل نفوسهم لما حررت النفوس، ومن أهل القرى من خرجوا عن ملك أراضيهم لأنه وُجد بها قتيل وكانت العادة أن يلزم أهل الأرض بديّة من يقتل فيها، أو تفرض غرامة ثقيلة عليهم فمنهم من تركوا أرضهم مخافة أن يلزموا بمال لا قبل لهم بأدائه، ومنهم من يترك أرضه لعجزه دفع الأموال الأميرية فتبيعها الحكومة العثمانية بأبخس الأسعار لأحد الأشخاص الراشين.

ومن المرابين من اقتنى قرى كثيرة في الديار الشامية لأنهم كانوا لا يشفقون على الفلاح باشتطاطهم عليه بالربا الفاحش بالإضافة إلى ظلم الأعشار والضرائب التي كانت مفروضة، فأهملت الزراعة أيما إهمال وخاصة بعد انتباه الكثيرين إلى الأرباح السريعة للمهاجرين الشاميين في دول الاغتراب، فنزح أناس إلى أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا و جنوب أفريقية وغيرها من البلدان حيث يسهل جني المال، كما هاجر ألوف إلى مصر والسودان وفلسطين عقب الاحتلال الانكليزي 1882 م حيث كان السفر ميسراً بسبب شركات التسفير.

وفي مراحل تالية كان الناس في مهين وحوارين والحدث والغنثر على قلة عددهم يزرعون الذرة الصفراء والشعير والقمح والبطاطا والخضروات الموسمية بالإضافة إلى شجر الكرمة والتين والمشمش وتسقى من المياه المتوفرة، أما زراعة الأراضي المحيطة بالقمح والشعير فكانت تختلف من عام إلى عام بسبب قلة الأمطار، ففي القديم أكل الناس خبز الذرة الصفراء وخبز الشعير المتوفر، ومن ثم خبز القمح وكانوا يستخدمون الرحى في البيت للطحن والصاج للخبز. وبعد صناعة التنور استخدموا الشنان لإشعالها وإحمائها، وكان يؤتى به من البرية حول القرية، إذ تذهب النساء فيملأن الشليف الذي يُحمل على الحمار آنذاك، وكان البعض يأخذ تراكتوراً لملء عربته (التريلا) وبصحبة عدد من النساء والرجال المقربون أو الأصدقاء (فزعة).

الرحى

الصاج

وفي النصف الثاني من القرن العشرين وبسبب قلة المحاصيل والانتاج في المنطقة وسوء الوضع الاقتصادي اضطرت بعض العائلات للعمل في أعمال الزراعة والحصاد في البيارات قرب تدمر، ومنهم من ذهب إلى الدوّة والبعض الآخر ذهب إلى حوران.

في الأراضي الغربية في مهين والتي لا تبعد كيلو متراً واحداً أو كيلومترين من الساحة حيث حفر كل من أصحابها جباً بالطريقة اليدوية، واستخدم مضخة تعمل بالمازوت لسحب الماء مثل عبد الرحمن الإبراهيم وأحمد الخلف الحجازي وأحمد العطا الحجازي وأبو وليد النفرة ومصطفى الهدروس، فزرعوا

شجر المشمش والعنب والتين والذرة الصفراء وبعض الخضروات الموسمية، كما زرع أحمد الخلف القطن أيضاً، وكان يتم جمع الماء في برك كبيرة نسبياً حيث تعمل المضخات صباحاً ومساء حتى تنتهي ماء البئر في كل مرة في ساعات قليلة.

وفي الكروم كان شجر المشمش والعنب والتين الأكثر زراعة فكثر الإنتاج حيث كان يباع في دوما وغيرها، وكان يكثر الباعة والتجار وتضج الشوراع بالسيارات الشاحنة وحركة الذهاب والإياب إلى الكروم في المواسم، واستفاد البعض من التجارة بورق العنب لأكلة اليبرق المعروفة، وإلى جانب ذلك تربية بعض الماشية، وأما من كان يعتمد على قطيع كبير من المواشي فعائلات قليلة (عربان الديرة) لا يتجاوزون العشرة في أحسن الأحوال، وكل ذلك لا يعتبر مكافئاً لازدياد متطلبات الحياة في ظل ازدياد عدد أفراد الأسرة، فكان العمل في دول الخليج هدفاً للكثيرين من الشباب وخاصة الكويت ثم السعودية، فكان الشاب يمضي السنة والسنتين وأكثر بعيداً عن أهله وعائلته لتأمين لقمة العيش، وبناء بيت حديث لائق وتامين قدر من الأمان والرفاهية في المسكن.

ولم يكن السفر بدعة حديثة، ففي بدايات القرن العشرين كانت الدولة العثمانية تمر بأصعب ظروفها أمام الدول الاستعمارية المتربصة بها، ففي فلسطين كانت بريطانيا والحركة الصهيونية والجمعيات اليهودية تعمل على هجرة اليهود إلى فلسطين فعملت على إنعاش الوضع الاقتصادي ووضعه بيد اليهود والتحكم به لتحفيز وتشجيع الهجرة إلى فلسطين، وأمام عجز العثمانيين لكبح هذه الهجرة سمحت للعرب بالسفر إلى فلسطين، سعياً منها لعمل توازن ديموغرافي، فذهب إلى فلسطين عمالة من العرب من الدول المجاورة وخاصة إلى حيفا التي ارتبطت بخط الحجاز القادم من دمشق والواصل إلى مصر منذ العام 1905 م، والتي دشنت مرفأها الحديث في العام 1933م، ليكون الثاني بعد مرسيليا حتى أصبح الشريان الحيوي لفلسطين والأردن وسوريا والعراق، بالإضافة إلى بناء المغازل ومعامل الاسمنت والزيت والسجائر، فنشطت أعمال التجارة والصناعة والبناء، وأصبح جنيه حيفا يداعب أحلام الطموحين من سائر بلاد الشام، فكان التاجر السوري المنافس الأول للتاجر اليهودي، وهكذا ذهب بعض الشباب للعمل في فلسطين ومنهم من ذهب مصطحباً عائلته مستفيدين من الوضع الاقتصادي وحركة العمل النشطة، وعندما زاد التضييق على العرب في جميع المجالات، ومن ثم بدء الصراع وإعمال المذابح في القرى الفلسطينية لبث الرعب والخوف لينزح العرب والفلسطينيون، فكان أن عادت العائلات والعمال السوريون ونزحوا مع غيرهم من العائلات العربية والفلسطينية ومعهم مواليدهم في فلسطين، فمن السوريين من تم تسجيله كنازح فلسطيني لعدم وجود اثبات قيوده الأصلية أو للاستفادة من المعونات التي كانت تعطى للنازحين، لذلك نجد من العائلات من آل حجازي من كان قيده في سوريا كفلسطيني وليس مواطناً سورياً

وقد كانت هناك نتائج جيدة للعمل في فلسطين، ففي العام 1945 م تقريباً بُنيت مطحنة ضخمة للحبوب في مهين، أقيمت بجانب الساحة العامة المعروفة بساحة العين، والتي كانت تعمل بواسطة محرك يعمل

بالمازوت يملكها بداية أحمد الخلف الحجازي ثم شاركها مع أحمد العطا الحجازي توطيداً للقرابة، وقد قدمت خدمات كبيرة للقرية والقرى المجاورة بما فيهم بدو المنطقة المحيطة، وبقيت تعمل حتى بداية التسعينات من القرن الماضي عندما كثرت الأفران ومنعت الزراعة، فلم تعد الحبوب متوفرة. كما أنه توجد مطحنة أخرى بجانب ساحة الدقعا لآل حمود. وأهملت المطحنتان وخربتا وبقيتا كوماً من الحديد ثم أزيلت الأولى تماماً، وبيعت خردة بعشرة آلاف ليرة سورية، وعرضت الأرض للبيع لفض الشراكة بين الأحفاد.

مصب الطاحون في الدقعا

في السبعينات من القرن الماضي مازالت هناك بعض تعاملات المقايضة فيمكن الشراء بالبيض البلدي أو بكمية من البرغل، وكان هناك عدد من الدكاكين التي فتحت في الساحة العامة ومنها دكان لقاسم الحنجر استأجره من جدوع العصير، وملحمة لسعيد الحمادي (سعيد النايفة) استأجره من جدوع العصير أيضاً وآخر لمصطفى قدور (مصطفى العصرية) ويتميز بأن فيه أقمشة بالإضافة إلى أنه بقالة واستأجره من علي العزالدين، ثم دكان لخيرو حمادي، ودكان لوحيد النجلة، ودكان لشحادي البويضان، وآخر لعلي القاسم (علي الشماط)، وكان الحلاق آنذاك مطر الفنيش في دكان استأجره من أحمد القاسم في ساحة العين، أما في البوابة فكان يوجد دكان لمحمود عبدو الشحود، ودكانان لإصلاح الأحذية لأخوين من آل سليمان.

وفي السفر إلى مدينة حمص كان يوجد باص لكامل العطا، وميكروباص لعبد الكافي السمير الشبلي ثم باص لرشيد الأسعد الأمين وحسين العنيزان العزالدين، وباص لآل سليّم، وميكروباص لعبد الحكيم الرفاعي، ثم ازداد عددها لاحقاً، ومنها من كان يذهب إلى النبك ودمشق.

الطبابة والتداوي

تعلم الناس منذ القدم من كبار السن أو ممن اشتهروا بالطبابة العربية كيفية التخلص من بعض الأوجاع والأمراض أو التخفيف من آلامها مستخدمين ما يتوفر من أعشاب محلية تنبت في البرية أو الكروم، ومنها القيصوم والشيح والبابونج والحلبة والخشخاش والحرمل، بالإضافة إلى أوراق بعض الأشجار كشجر الكينا والصبار وبعض أزهار الورد الجوري وغيرها. كما لجأ البعض إلى الكي في ساقه أو رأسه حسب الآلام التي كان يشعر بها، وفي الحالات الصعبة كان الناس يلجؤون إلى مدينة حمص أو النبك. أما الحالات الإسعافية في الجروح والحقن فعرفت القرية في فترات زمنية من يهتم بتوفير القطن والضمادات والدواء الأحمر وحب الاسبيرين ولزقات الظهر، ومنهم علي الضيف الله الغوش الذي كان له دكان في مسكنه القريب من الساحة، والذي كان يجيد ضرب الإبر أيضاً، وأما بالنسبة للنساء فكانت فريزة عوض الحجازي هي من تجيد أداءها.

وفي الولادة كانت الولادة الطبيعية هي الشائعة، ويُعتمد على الدّاية ومساعدة بعض النسوة من الجيران وذوات القربى. والداية امرأة مسنة اكتسبت خبرتها بالتجربة من محيطها الذي تعيشه، وربما من أخرى سبقتها في هذا الكار، فتشرف على الولادة وقطع حبل السرّة والربط وغسل المولود ودهنه بالزيت والتقميط. وفي اليوم التالي تعود لغسل المولود وتمليحه والاطمئنان عليه وعلى حالة أمه. وإذا كان المولود أنثى فتعمد إلى ثقب أذنيها بالإبرة وتستخدم الماء المملح في تطهير الثقب، وتضع خيطاً معقوداً في كل إذن ليصار إلى استبداله بحلق الذهب عندما يتوفر ذلك. وقد كان علي السلمان القدور أحد المشهورين في تجبير الكسور.

وبالنسبة للأطباء فقد عرفت المنطقة من أوائل الأطباء الذين قدموا إليها من حمص في العام 1971 الطبيب محمد حافظ الخلف حيث استقر في بلدة القريتين، وكان لقبه (أبو الدرابي) وقد كان له فضل كبير على أهالي المنطقة وبدوها. لقد كان طبيباً متواضعاً جداً وصاحب ابتسامة لا تفارق وجهه، فترتفع بها معنويات المرضى، وقد وجد فيه الناس أكبر هدية لهم في المساعدة في شفاء مرضاهم، فالدواء اللازم والإبر والقطن وأدوات التعقيم في حقيبته دائماً، فبات صاحب اليد المبروكة الذي لا يتورع أن يأتي ماشياً داخل القريتين في أي ساعة من نهار أو ليل عندما لا تتوفر وسيلة النقل، ومهما كان مريضه طفلاً أو رجلاً أو امرأة ، فكانت النسوة يلجأن إليه في حالات عسر الولادة أيضاً فهو طبيب كل المرضى، وقد بقي في القريتين قرابة خمسة وعشرين عاماً حيث عاد بعدها إلى موطنه في مدينة حمص.

إخوة عيشة

اتضح لنا من أصل السكان أنّ الرعيل الأول ممن آثر الاستقرار في أرض مهين يعود إلى عشائر مختلفة، فهم ليسوا من بيئة واحدة، ولم يرثوا ماءها وترابها أصلاً فقد جاؤوها من عدة مناطق على قلة عددهم، ويحمل كل واحد منهم إرثه الاجتماعي الذي تربى عليه، وكذلك لهجته الخاصة، والتي كانت في سياقها العام اللهجة البدوية، ولكن في كل واحدة منها بعض المفردات والمصطلحات التي تميزها، وعاشوا معاً وهم يتبادلون معارفهم وخبراتهم، وشربوا من ماء عينها، وأكلوا مما زرعوه في أرضها، ومن بعض الحشائش البرية التي كانت تنبت فيها، وتزوجوا من بعضهم واختلطت دماؤهم وكثرت العائلات وكبرت العشائر. ويُعد الناس اليوم أقرب إلى الحضر فقد اندثرت الكثير من الطباع البدوية القديمة واندثرت اللهجة التي جاؤوا بها، ونتج عنها لهجة اليوم التي تلفظ فيها الحروف العربية كما هي كالقاف والثاء والظاء وبإمالة خفيفة للألف في بعض الكلمات أو الأسماء، ولكن مع كل هذا التغير والتمدن الذي حدث ما زالت هناك بعض الفروق في لغة الحديث، وبعض العادات والطبائع لكل عشيرة، فيمكن لأي غريب عن البلدة أن يلحظ لهجات وعادات مجتمعية مختلفة حتى مع الجيل المتعلم الذي حصل على شهادات جامعية، ولكنهم كقرية عُرفوا عند القرى المجاورة بإخوة عيشة، وأغلب الظن أن هذه التسمية قديمة، ويعود سببها إلى التقارب التاريخي مع قبائل المنطقة وخاصة القبائل التي كانت ترد على مياه مهين فكانوا من ذوي القربى على الأغلب كما تمّ ذكره سابقا، وكانوا يتبادلون المنفعة فيما بينهم فكانت القبائل تقول لهم أنتم إخوة العيش وخاصة أن السكان لم يتخلوا عن عادات كرم الضيافة التي ورثوها من قبائلهم، بل ازداد كرمهم بعد استقرارهم وأثبتوا أنهم مازالوا على العهد من صفاتهم العربية الأصيلة، ولن يكونوا أقل من ذلك بعد استقرارهم وتركهم لحياة البداوة والتنقل، فإخوة العيش الواحد أو العيشة الواحدة لا فرق بيننا نحن وأنتم، وبعد ردح من الزمن أصبح التوصيف إخوة عيشة.

شجرة أم عياش

في الجهة الغربية من البلدة وعلى بعد ثلاثة كيلومترات من ساحة العين تقريباً على حرف مجرى سيل يقطعه طريق ترابي للذاهبين والعائدين من جمع الحطب أو الصيد، كانت شجرة قديمة ضخمة نسبياً و وحيدة، يستظل بها الناس ويستريحون تحتها، ولكن نوعها الغريب عن البيئة (إجاص بري) وعدم وجود أي شجرة غيرها في برية مقفرة، جعل منها أسطورة يتناقلها الناس. وفي فترة من قلة العلم وتفشي الفقر والجهل وتنامي الأحلام وابتعاد الأماني والتمسك بقشة لتحقيقها، علقوا على أغصانها آمالهم المتمثلة بخرقة من آثار ثيابهم لتلوح حيث تهب الريح، باعثة البشرى بقرب ولادة صبي أو تقدم عريس أو شفاء مريض أو عودة مسافر.

هكذا كانت شجرة أم عياش

(العودة يا أم عياش) هي العبارة التي تُوَدّع فيها هذه الشجرة من قبل الناس، إنهم لا يعبدونها طبعاً ولا يقدسونها، و لكنهم كانوا حذرين من أن تؤذى، فقد تكون روح إحدى الصالحات قد حلت بها، أو أن لها كرامة ما لتعود بالنفع على من يجلها ويعلق آماله وأحلامه على أغصانها.

إنّ شجرة أم عياش المهينية ليست وحيدة في هذا العالم ففي وادي السرحان قرب العقبة بالأردن توجد شجرة أم عياش أخرى وكان الناس يطوفون حولها قديماً. يقول الحاج مرتضى علوان الذي وصل هناك في العام 1710 م" لقد طلبوا مني أن اطوف حولها مثلهم كي تقبل حجتي".

ومع أن هذه الشجرة كانت في آخر عمرها كما توحي أغصانها اليابسة، إلا أن أحد الشباب عاجلها بالحرق بعد أن سمع ما يمكن أن تكون بعض النساء قد أشركن بسببها.

إنّ إبداعات الناس كثيرة و تختلف من مجتمع إلى آخر فقد يجد بعض الأشخاص أن يحفر اسمه واسم محبوبه على ساق الشجرة، قناعة منه أن هذا الحب باق مادامت هذه الشجرة، ووجد آخرون في القفل الصغير وقفله على أحد الأسلاك في أحد الشوارع المشهورة تعبيراً عن عدم انفكاك علاقتهم وحبهم، وفي الواقع أن عادة التعليق على الأشجار في مجتمعاتنا العربية عادة اجتماعية موروثة عن العثمانيين ولاعلاقة لها باعتقاد ديني أبداً، ولكن الناس تنسى عبر التاريخ، وفي غفلة عن النظرة الواقعية، وأنّ لكل شيء قدر. ومع تنامي الأحلام وعدم تحققها، تتفتق ذهنية البشر عن علاقة الموروث الاجتماعي بالنفع والضرر، وخلق القصص والأساطير وكأنها حقيقة كفلق الصبح، حتى الرؤى قد تنسى أنها رؤى و تنقل على أنها حقائق.

كانت تحط رحال بعض الغجر (النور) قريباً خارج بيوت القرية، وكانت الغجرية تعرف كيف تستجدي سخاء الناس في استغلال حاجتهم لقراءة المستقبل وحسن الطالع فتقول: بيّض الفال، وهي تمد يدها، فتعطى الليرة الواحدة أو أكثر وتبدأ اسطوانتها في العمل، والتي تحفظها عن ظهر قلب، ويكاد لا يفهم منها إلا بعض كلمات بسبب لهجتها وسرعة حديثها، ولكن الغجرية لبقة على كل حال، وكأنها درست الطب النفسي في أرقى الجامعات، فلا تترك زبونها إلا وقد وثق منها وآمن بتحقق كل ما تقول من

خلال اللعب بقواقع بحرية صغيرة بين يديها، تلقيها على التراب أمامها، وهي تبعد هذه وتقرب هذه ولسانها يرطن.

لقد كانت الغجرية تحرص على ملاقاة النساء والشباب لأنها أكثر قدرة على اللعب في عواطفهم، فهي تعرف الكثير عن أحلامهم وأهوائهم دون أن يبوحوا بها، وبالتالي يجودون عليها بدون عناء.

وكان بعض الغجر ممن يتقنون العمل في الأسنان يجدون لهم سوقاً جيداً في مثل هذه القرى النائية والتي لا يوجد فيها أي طبيب، فيحملون (عيادتهم السنية) في حقيبة على ظهورهم ويلفون الشوارع والأزقة بحثاً عن أحد يريد التخلص من ضرس يؤلمه، أو تلبيس سن بلباس ذهبي أو فضي ليزين مبسمه إذا تكلم.

الاعتقادات والشأن الديني

اتَّسم العصر العثماني بانتشار الطرق الصوفية، وسيطرتها على مناحي الحياة الدِّينية والرُّوحية والسِّياسية والاجتماعية، وقد شارك العثمانيون في بناء بعض الأضرحة والمزارات والقباب، كما شاركوا في الموالد والاحتفالات الصوفية على مستوى بعض المدن في سوريا وغيرها. فإذا أخذنا بعين الاعتبار تفشي الجهل الديني والتعليمي وخاصة في القرى فإنه من المؤكد أن يتقلد أناس من العامة شؤون الأمور الدينية والإفتاء بقدر ما تعلم من قراءة وكتابة في الكتاتيب، وبقدر ما حفظ من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، وبقدر ما سمع من شيوخ سبقوه، أو بما قرأه من كتب أو مخطوطات قُدّر لها أن تقع بين يديه وراثة أو بغيرها، ويكون على الأغلب قد تمكن من أداء فريضة الحج فيكون هو الإمام وخطيب الجمعة والمنشد، بل هو المتصدر لكل ما يتعلق بأمور الدين كافة في القرية.

لا نعرف تماماً متى بُني أول جامع في القرية، ولا الأئمة الذين تعاقبوا، ولكن ذُكر قبل الخمسينات في القرن الماضي الشيخ ايتيّم الغزول الذي اهتم بتعاليم الدين، وكان يعلّم الأطفال القرآن الكريم، ويؤم الناس في الصلاة، ويعقد للزواج والبيوع، وكان ينظم السقاية للناس حسب العدان على التوقيت العربي. وعُرف من المؤذنين حسن العقلة الحمود وعارف الرفاعي، ومن الذين عرفناهم في عصرنا من المؤذنين عبد الجليل العمار وشيمان عبد الرحيم وسعيد العبدالله الشحود وقاسم العزالدين وعلي الضيف الله الغوش و عبدو الطليقي المنصور، ثم حسين العنيزان العزالدين، وكان يخطب الجمعة عبدالجليل عمار والشيخ عبدالصمد القصاب في جامع ساحة العين، ومن ثم انتقلت الإمامة والخطابة للشيخ شاكر منصور وهو طالب علم.

أما الشيخ عبد الصمد القصاب فهو من ديرعطية قدم إلى مهين بصحبة حجار الضعيف منذ العام 1956 م، وقد كان عابداً زاهداً تتلمذ على يدي عمه الشيخ المعروف في القلمون عبدالقادر القصاب، وقد

استقر في مهين حيث انتقل في سكنه إلى بيت بدر حجازي صهر حجار الضعيف، وأمضى حياته خطيباً للجمعة في جامع مهين القديم ثم الجامع الكبير في الساحة العامة. وكان لدى الشيخ مكتبة متواضعة، أغلبها من الكتب القديمة وتحوي الغث والسمين. ولم يتعلم الشيخ العلم الشرعي الذي يساعده في البحث والتخريج والتثبت من المعلومات التي كان يقدمها للناس، وكان يمضي وقته بقراءة القرآن والذكر والصلاة. ولا أعتقد أنه كان يتبع أي طريقة من الطرق الصوفية المشهورة. وقد حصل على ثقة الناس فكان يلجأ إليه البعض وخاصة النساء، لكتابة (حجاب) لحل مشكلة ألمّت بهن أو لفتاة لم توفق لعريس أو لفك إصابة عين وغير ذلك، فكان الشيخ يفتح لها أي كتاب يكون قريباً منه ويغلقه بعد أن تقع عينه على بعض الأسطر وكأنه يفكر ماذا سيكتب، ثم يكتب بعضاً من آيات القرآن الكريم وبعض الأدعية على ورقة ويلفها كحجاب. وأعتقد أن الشيخ لم يكن يقصد من وراء ذلك الغش أو الخداع، فلم يكن لديه كتباً سرية كالتي يقتنيها أهل السحر والشعوذة، فكان يسأل عن المشكلة ثم يحاول أن يكتب الآيات والأدعية المناسبة، وكان يرضى بالقليل فلا يطلب أجراً معيناً، وكان لا يدخر شيئاً من المال، فيصرفه جميعاً في الأكل أو السفر إن احتاج إليه.

الشيخ عبد الصمد القصاب

وكان يُدعى الشيخ إلى إقامة الموالد في بعض المناسبات كالمواليد أو الأضاحي وبعض حفلات الزواج و الختان وهي جلسات معروفة للذكر ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام.

وذكر لي الشيخ بأنه تزوج في شبابه عندما كان في ديرعطية ولكنه لم يوفق في زواجه بسبب ضعفه وعدم القدرة فتركته ولم يتزوج بعدها أبداً، فنذر نفسه لخدمة الدين. وقد تجاوز التسعين من عمره حيث بات ينسى إن كان قد صلى الفريضة أم لا، بعد تفاقم مرض الشيخوخة في أيامه الأخيرة، فنقله أولاد أخيه إلى ديرعطية، وتوفي ودفن فيها رحمه الله تعالى. وأما مكتبته فقد جمعها أولاد أخيه ونقلوها إلى دير عطية أيضاً ولم يتركوا منها كتاباً واحداً.

وفي البحث في فترة زمنية سابقة عرفتْ مهين بعض الأشخاص الذين كانوا يتّبعون إحدى الطرق الصوفية، ويقومون بضرب الشيش والضرب على الدف، ولهم رايات خضراء، وكان البعض منهم يصل

إلى فقدان السيطرة على نفسه، بل يفقد الوعي أثناء ممارستهم لأذكارهم الدينية الخاصة والتي كانت تتم في ليلة الجمعة، وتُعرف هذه الحالة بالشيخة أي أنه شاخ، ويقال بأنّ الشيخ يستطيع أن ينقل الشيخة لمن أراد عن طريق لعابه فيشربه الشخص مع الماء فيصبح على حالة شيخه. وقد كان لهؤلاء قدسية معينة عند أبنائهم وأحفادهم، فكانوا يحلفون بهم(وحياة أبي وحياة جدي وهكذا) وأعتقد أن هذا الحلف انتقل بالتقليد إلى كثير من الأولاد وخاصة عندما كانوا يلعبون مع أقرانهم.

وبالنسبة لأعمال ضرب الشيش وغيرها من أفعال الصوفية فلم يرثها أحد من الأبناء فقد انقرضت بوفاة أصحابها، ولكن تمكن بعض الأشخاص من الاستفادة من هذا الإرث وقدم نفسه بقدرته على فك السحر والمربوط وكتابة الحجب للحماية من الأمراض التي تسببها الأرواح الشريرة و(التابعة).

يظن الناس عادة وخاصة النساء في حالة كثير من الأمراض وعدم وجود أطباء في مثل هذه المناطق النائية والفقيرة وفي ظل تفشي الجهل، أنّ الحل يأتي بزيارة الشيخ فلان الذي اشتهر بيده المبروكة، ويعللون ذلك بأنّ كثيراً من الذين لجأوا إليه تم شفاؤهم، وهذا الشيخ وريث أجداده الذين كانوا من أولياء الله. وهكذا تصل الشهرة إلى القاصي والداني، وتروى كرامات وخوارق لا تصح لأي أحد إلا إذا كان شديد التقى. وفي النساء كانت هناك من ورثت عن أجدادها هذا الدور. وأما عن كيفية العمل في علاج المريض فيكون بأخذ أثره المتمثل بشيء من لباسه ومن ثم القراءة عليه ليلاً وهو ما يسمى بالتبييت، وبعدها يخضع المريض لجلسات القراءة في أوقات مناسبة، وقد ظهر ما يتوجب القراءة به بعد معرفة العلة، والتي تكون عادة إصابة بالعين أو(تابعة) وغير ذلك من المصطلحات المستخدمة.

لم تقتصر هذه القضايا على المتصوفة أو الوراثة، ولكن هناك من المحفزات التي أغرت البعض على اختلاف تعليمهم و ثقافتهم –على قلتهم- في دخول عالم الرموز والطلاسم الذي يكشف سر هؤلاء الشيوخ المتوارثين وذلك بالحصول على كتاب شمس المعارف أو بعضاً من كتيبات الطوخي ويتحقق لهم بذلك عدة أمور: سرعة كسب المال، والوصول إلى عالم النساء وأسراره بسهولة ويسر، والبحث عن الكنوز التي يُعتقد أنها لم تكتشف بعد في هذه المنطقة الأثرية، وتحصين الذات بقوة خفية يستشعرها الآخرون دون بذل أي جهد.

ومن القضايا الاجتماعية التي قد تحتاج الاستعانة بالطلاسم هي تسهيل الموافقة وعدم الاعتراض على زواج فتاة من شخص ما، أو فك المربوط، وإزالة السحر المؤثر عليه، أو استدعاء الحب لزوجين بعد أن تم طرده من أم الزوج أو من امرأة أخرى.

وأما القبور فمنها من اندثرت حجارته ومنها من بني عليه بالإسمنت أو تم الاكتفاء بلوحة رخامية كتب اسمه عليها، ولا يوجد سوى غرفة بنيت فوق بعض المقابر التي تمت تغطيتها بقماش أخضر، وقد يكون هناك اعتقاد ما، يجعل بعض النساء قديماً يأخذن مقدار شريطة من قماش أخضر ويربطنها في شعورهن.

وفي الطريق المحاذي للمقبرة الشرقية القديمة كانت توجد قبة صغيرة على أحد المقابر يقال أنها للشيخ ساحون، ولا أحد يعلم من هو هذا الشيخ ولا من أين جاء، وقد تمت إزالتها (بمهابة) مع عدد كبير من القبور القديمة جداً من أجل بناء مبنى البلدية ومبنى الهاتف.

ومن المقامات التي اندثرت مقام البدوي في ساحة الدقعة، والذي كان بيتاً خرباً لا سقف له ولا أعرف إن كان فيه قبر أم لا، ولا أحد يملك أي معلومة بخصوصه، وتمت إزالته تماماً فلم يبق له أثر. وكان البعض يضع في مقام البدوي أو في محراب ما كان يعتقد أنه للجامع العمري المندثر الخبز والطعام كصدقة أو وفاءً لنذر، بالإضافة إلى مصباح كاز ليلاً.

إن إصلاح المفاهيم والعقائد والعادات المتعلقة بها لا يتم إلا بالعمل الجاد من قبل العلماء وطلاب العلم، وهذا ما كان من عمل الأستاذ ابراهيم منصور، والأستاذ علي شحود، ومن ثم الشيخ محمد وفا منصور، والشيخ عبدالحسيب منصور, وطلاب علم آخرين درسوا في كلية الشريعة، وهم من تلاميذ الشيوخ السابقين، فلم يتركوا مناسبة لاجتماع الناس في الأفراح أو الأتراح، أو في يوم الجمعة، إلا وذكّروا الناس بالحلال والحرام بما ورد في القرآن الكريم والسنّة الشريفة في العبادات والمعاملات والعقيدة، ودعوهم لنبذ العادات الاجتماعية السيئة التي نسبت إلى الدين، أو ما ابتدع فيه، فتخلى الناس عن كثير من العادات والبدع.

الأعياد

كحال كل المسلمين يحتفل أبناء البلدة بعيد الفطر وعيد الأضحى، وفي العيدين ما إن تنتهي الخطبة في المسجد الكبير حتى يخرج الناس لمعايدة أقربائهم وجيرانهم. والكثير منهم من يبدأ بزيارة قبور موتاهم حيث تكون النساء قد زرنها وغادرنها قبل مجيء الرجال، وهناك يقرؤون الفاتحة ويدعون الله لهم بالرحمة والمغفرة. ولكن قبل عشرات السنين كانت النساء يتقاطرن إلى المقبرة وعلى رؤوسهن الأطباق المملوءة بالطعام والفواكه وخبز التنور منذ طلوع شمس يوم العيد، مصطحبات أولادهن الصغار، ثم يأتي الرجال من بعد الصلاة لتمتلئ أرض المقبرة بأهل البلدة، وهناك يعايدون بعضهم البعض ويترحمون على الأموات، ومنهم من يقرأ سورة يس من مصحف بين يديه، ويُرش الماء على المقابر وتُنثر عليها الورود والأغصان الخضراء، وتبكي بعض النساء أو تنوح، و تتهامس أخريات، و يُطعَم الأطفال بسخاء ليُترك الباقي لدواب الأرض و الكلاب الشاردة التي تجد في القبور ملجأ لها.

قد تستغرق زيارة القبور مقدار ساعة أو أكثر لتبدأ بعدها زيارة الدور، أما الشباب والمراهقون ففي ساحة العين جماعات جماعات منذ الصباح للعب اليانصيب، وكانت أوراق اليانصيب تباع في الدكاكين وهي عبارة عن قطعة كرتونية رقيقة مربعة الشكل ومخططة على شكل مربعات أيضاً، وتضم خمس

أعمدة، وكل عمود فيه ست أعداد متتالية، فيكون عددها 30 رقماً، وفي أعلاها مربع صغير مغطى ويحتوي على الرقم الرابح، وعند اجتماع خمسة أشخاص يشتري كل واحد منهم عموداً يختاره فيُقصّ له، وكان سعره يتراوح بين الفرنك والعشر ليرات سورية – و ربما أكثر- حسب ما يتم الاتفاق عليه، ثم يُكشط المربع لتظهر النتيجة، ومن يملك الرقم يأخذ المال المجموع.

المساجد والجوامع

جامع البوابة: عندما تراصفت البيوت بقرب بعضها البعض وأصبح عدد الرجال على قلتهم يستحق أن يجتمعوا على الصلوات في وقتها، ثابروا وبنوا غرفة واسعة نسبياً من اللبن والطين وحجر الكذان المتوفر لتكون أول مسجد بني في البوابة ومكانها مقابل دار نواف السلطان أبو فواز، وبعد سنين طويلة وحيث أنه لم يعد يتسع للمصلين دعت الحاجة إلى بناء مسجد بديل وخاصة أنه لا يمكن التوسعة للمسجد الحالي فكان الاتفاق على أرض المبنى الأثري الذي تقل أهميته عاماً بعد عام فبدء في بنائه حوالي العام 1898 م تقريباً وتم تحسينه وإتمام العمل فيه حتى العام 1902 م. واستمرت الصلاة فيه حتى التسعينات حيث تقرر بناءه بالبلوك والاسمنت المسلح بعد جمع الأموال اللازمة لذلك من أهل الخير وتبرعات أهل البلدة، فهدم وبني المسجد الحالي وتمت المحافظة على مئذنته القديمة.

الجامع الشرقي في (البوابة)

جامع العين: وكان يقال له جامع الخضر و كان بناؤه القديم مقابل مبنى الجمعية الاستهلاكية والهلال الأحمر، ولم تكن له مئذنة مرتفعة بل هيكل من الخشب مثبت في الزاوية المطلة على الساحة فوق فتحة في السقف، يصعد المؤذن إليها على درج خشبي ليؤذن بصوته قبل توفر أجهزة تكبير الصوت، وقد تمت إزالته العام 1987 م بعد بناء جامع العين الكبير وبني على أرضه محلين وشقة ليعود ريعها للوقف.

الجامع الكبير في ساحة العين

جامع الحمزة: وبُني في أرض تقع غربي البلدة تبرع بها حمزة الرفاعي على الطريق العام المؤدي إلى عين القصر على نفقة أهل الخير ونفقة أهل البلدة، وكان يؤم فيه سلمان حمزة الرفاعي أو أحد طلاب العلم.

جامع الحمزة

جامع العمري: يقع في الجهة الشمالية القريبة من ساحة العين، و قد بني حديثاً في هذا الحي بعد ازدياد عدد السكان. في الصورة أدناه بناء قديم يشبه المئذنة، ورغم أعمال التوسعة التي قامت بها البلدية تركت هذا البناء يتوسط الطريق ولم تزله على أنه أثر لمئذنة كانت تُعرف لدى الأهالي بمئذنة العمري. ويؤكد المحراب الموجود في جدار اللبن القبلي وجود مسجد كان هنا، وقد حل مكانه بناء المسجد الحالي. والمتفحص لشكل هذا البناء القديم والطريقة التي بني بها يدرك أن البناء كان على الأغلب لجرس كنيسة صغيرة وليس مئذنة، وقد تحول بناء الكنيسة الأساسي في فترة لاحقة متأخرة إلى أرض خالية بعد التصرف بحجارته عاماً وراء عام. أما وجود المحراب فلا رواية حوله، ومن المحتمل أن يكون بعض الأهالي حاولوا استثمار المكان لبناء مسجد على أنقاض الكنيسة فبدأوا بالمحراب حتى يطمس اسم الكنيسة من المكان، وليس من المعلوم كم من السنوات عمّر هذا البناء ولكنه قضى وأصبح أثراً بعد عين على إثر القصف الذي طال المنطقة (2015 م) أثناء الاستيلاء على مستودعات الذخيرة القريبة في جبل مهين الصغير في ثورة السوريين على نظام الأسد الحاكم.

الجامع العمري

جامع عمر بن عبدالعزيز: في الحي الغربي الجنوبي على طريق يؤدي إلى المستودعات وظهرة القيزان.

مسجد كامل الغافل العوض: في الحي الغربي على طريق المستودعات القادم من حمص.

مسجد الرحمن: في الحي الغربي بحارة آل شحود، بني حوالي العام 2005.

جامع البراء بن مالك: في عين القصر على الطريق المؤدي إلى صدد.

مسجد عثمان بن عفان: بني عام 2013 م في الحي الجنوبي الشرقي.

مسجد قرب منزل محمود جادالله سليمان في الجنوب الغربي من البلدة.

مسجد تحفيظ القرآن قرب خزان البلدة للمياه.

مسجد المدرسة الريفية.

شخصيات من مهين

المختار هو الشخصية التي يقع عليها الاختيار عادة من قبل الجميع في القرى والبلدات التي لا تحكمها القبيلة منذ القدم، ومن دون أن يدفع الرشاوي للسلطة، فهو يملك ميزات وكاريزما تجعل الجميع يرضى عنه في تسلم هذا المنصب، والذي يعتبر في حقيقته خدمة للناس وليس سلطة أو تسلطاً. ونذكر من المخاتير الذين خدموا مهين منذ فترة وجود المخاتير حتى اليوم:

محمد عبدالله اليحيى – علي عبدالله الحرب – خليف سويد الشبلي – علي يوسف السلطان – قاسم الحمادي و محمد الجراد – سويد الشبلي – محمد حمدان الحمود – زايد أحمد النجعة ومحمد محمود العزالدين – نواش هدروس – أحمد عزالدين – قاسم اسماعيل الموسى – عبدالكريم قويدر– شهاب نجعة، وتم تعيينه في نهاية العام 2021.

ولا شك أنه يوجد أشخاص كثيرون جديرون بالذكر في فترات زمنية سابقة كان لهم دوراً مؤثراً في حياة الناس والبلدة، وفي عصرنا الحالي يوجد العديد من الأشخاص اخترت منهم :

الأستاذ ابراهيم محمد منصور

الشيخ ابراهيم منصور

درس في كلية الشريعة في جامعة دمشق وعُيّن مدرساً في إعدادية مهين، ثم انتقل إلى مدينة القريتين عام 1977 واستقر فيها حتى العام 1990 حيث درّس في ثانويتها، وكانت له دروس في أحد مساجدها بعد صلاة المغرب، وعمل مدرساً لأربع سنوات في دولة قطر. كان نموذج الداعية المحبوب الذي لا يتكلم إلا حينما يطلب منه، أو عندما يجد الوقت مناسباً للحديث، وإذا تحدث فبصوت خفيض هادئ ودون إطالة، فلا يمل من حديثه أحد أبداً، وقد كان له نشاط في بناء جامع مهين الكبير الذي خطب فيه أيام الجمعة والأعياد، وتأثر الكثيرون بأخلاقه الراقية، وشهد له طلابه بذلك. وقد عاجله الأجل فتوفي العام 2000 عن عمر اثنين وخمسين سنة تقريباً رحمه الله.

الأستاذ قاسم صالح حرب

الأستاذ قاسم صالح حرب

كان معلماً في مدرسة مهين الريفية منذ ستينات القرن الماضي وكان محبوباً من تلاميذه وزملائه، وفي الثمانينات أصبح أميناً لشعبة حزب البعث في القريتين، ومن ثم عضواً في مجلس الشعب، وبعدها رئيساً لشعبة الهلال الأحمر في مهين.

لقد بنى شبكة من المعارف والعلاقات العامة خارج البلدة، فكان شخصية محترمة اجتماعياً وسياسياً. قدّم خدمات كثيرة لأبناء البلدة، وحاول جهده حمايتهم أثناء الثورة، حتى أقعده مرض الشيخوخة، وتوفي عام 2019 م في حمص رحمه الله.

الأستاذ علي شحود:

الشيخ علي شحود

درس في كلية الشريعة بجامعة دمشق وتخرج منها عام 1984 م، وكان خطيباً منذ العام 1976 م ثم عمل مدرساً في عدة ثانويات في سوريا والإمارات وماليزيا، كما عمل مدرساً في ثانوية مهين.

درس الحديث على يدي عدة علماء منهم الشيخ شعيب الأرناؤوط، والدكتور نورالدين عتر، ودرس كثيراً من الفقه على يدي الدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور محمد فتحي الدريني وغيرهم. والتقى بجميع مشايخ الشام وأفاد منهم كثيراً. كرّس جلّ وقته في طلب العلم، فامتلك مكتبة ضخمة من الكتب واجتهد باحثاً في كتب تفسير القرآن الكريم وكتب السنّة الشريفة، فكتب الكثير من الكتب وحقق كتباً أخرى.

طُبع له حياة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وزبدة الاسراء والمعراج وسبل السعادة الزوجية وغيرها، وقد نشر معظم كتبه إلكترونياً على الشبكة العنكبوتية، وله صفحة خاصة باسمه في مكتبة صيد الفوائد في الانترنت وفيها كثير من كتبه وأبحاثه. ولم يألُ جهداً في إعطاء الدروس ونشر الوعي بين الشباب وحثهم على طلب العلم. وللشيخ نشاطات وإسهامات كبيرة في الثورة ضد نظام أسد من خلال الخطب والمحاضرات، وكذلك في الفتاوى الصادرة عن المجلس الاسلامي السوري المتعلق بهذه الثورة، وقد حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة إدلب لجهوده ونشاطه في عام 2021 م.

الدكتور سمير محمد علي الأسعد:

طبيب الأسرة النشيط والمتابع، فلا ساعات محددة للعمل في العيادة. آثر دراسة الطب على الهندسة المدنية، فاضطر إلى إعادة تقديم الثانوية العامة ليدخل بعدها كلية الطب في جامعة دمشق، وافتتح عيادته

الدكتور سمير الأسعد

في البلدة بعد تخرجه مباشرة، والتي تكاد تعمل عمل مشفى صغير، فكان عوناً كبيراً لأهالي المنطقة حيث تخصص في طب الأسرة.

سُجن عدة أيام من قبل جيش النظام في المستودعات بحجة علاج الإرهابيين، ثم أفرج عنه، ولم ينقطع عن عمله في العيادة حتى نزح مع الأهالي إلى مدينة القريتين أثناء الاستيلاء على المستودعات من قبل الجيش الحر، ثم انتقل إلى بلدة الفرقلس، وفتح عيادته فيها، ثم سجن أكثر من عام من قبل النظام وخرج في نهاية شهر تشرين أول في العام 2019، ليستقر في حمص.

التعليم

قُدّر للبعض من أبناء البلدة من مواليد الثلاثينات والأربعينات أن يتلقوا تعليمهم، فمنهم من درس الثانوية، والقليل جداً من تمكن من إكمال دراسته الجامعية. ذكر الأستاذ صبحي الحمود وهو من أبناء الثلاثينات أن دراسة الابتدائية كانت حتى الصف الرابع في القرية، حيث كان الصف الخامس عبارة عن شهادة تسمى سرتفيكا وتقدم امتحاناتها في مدينة حمص وتنشر النتائج بالجريدة الرسمية، ومن أراد أن يكمل الدراسة عليه أن يذهب إلى القريتين أو إلى عسال الورد أو إلى حمص. وذكر من طلاب تلك الفترة: أحمد القاسم اليوسف، محمد العبدالقادر شحود، مزيد الزايد النجعة، وفا عبد الكافي عمار، محمد خير عزالدين، عبد الكريم حجازي أبو سعيد، مفلح الأسمر، توفيق السويد، أما كل من قاسم الصالح حرب وعبد الكافي موسى وعبد الجابر موسى كانوا قبلهم بعام واحد. وعن ظروف سكنهم في حمص ذكر أن زوّادتهم من الطعام كانت تصلهم كل يوم سبت وفيها الخبز والكشك والبطاطا وغيرها فلا يشترون أي

شيء سوى صحن حمّص بفرنكين كتغيير للطعام. وبالنسبة لنزولهم إلى القرية كانت تقتصر على عطلة نصف العام الدراسي.

وفي الستينات كانت المدرسة الابتدائية الريفية التي تحولت فيما بعد إلى مبنى الفرقة الحزبية. وفي بداية السبعينات كان عدد الإناث في هذه المدرسة لا يكاد يذكر، وبعد الانتقال إلى الاعدادية في منتصف السبعينات لم تكن هناك أية طالبة أبداً. ومن المعلمين الذين كانوا يعلّمون في الابتدائية في تلك الفترة عبدالكافي موسى وعبدالكريم حجازي وعبدالجابر موسى وقاسم حرب وسعيد حمود ومحمود الابراهيم ومحمد جميل عزالدين وخالد شيمان عبدالرحيم. ومن الوكلاء حمدان حمود وأحمد قاسم اليوسف. ومن صدد مطانس دنهش وصايل حنون. وبعد عدة سنوات قليلة كان عدد كبير من المعلمات يأتين من صدد ومن حمص ومن قراها.

كانت الدراسة تبدأ في الساعة الثامنة صباحاً، ومدة الحصة الواحدة خمس وأربعون دقيقة وبعد كل حصة فرصة الاستراحة لمدة ربع ساعة، فتعطى أربع حصص درسية حتى الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً، وينتهي الدوام لأيام الأحد والثلاثاء والخميس أما في الأيام الثلاثة الأخرى من الأسبوع فتكون استراحة طويلة حتى الساعة الواحدة والنصف يذهب فيها التلاميذ إلى بيوتهم فيتناولون طعام الغداء ليعودوا ثانية إلى المدرسة وبانتظارهم درس محفوظات ودرس رياضة على الأغلب. وكان لباس التلاميذ هو الصدرية باللون الخاكي العسكري وكانت تصل إلى الركبة، والعطلة الأسبوعية يوم الجمعة فقط.

كان نظام التعليم كالأنظمة العسكرية، فعدم كتابة الوظيفة أو عدم حفظ الدرس لليوم التالي يعرض الطالب للضرب بعصاً خشبية على يديه أربع مرات مبرحات مع سماع بعض الكلمات النظيفة، وإذا تكرر هذا فعلى الطالب أن يتحمل الضرب على قدميه (فلق) بعد أن يُثبّت على كرسي الخيزران رافعاً قدميه من قبل طالبين آخرين يخترهما المعلم من ذوي الأجسام.

وأذكر في الصف السادس وبسبب عدم حفظ سورة قصيرة كان الزحف على الرمل خارج غرفة الصف إحدى العقوبات التي نفذها عدد من الطلاب، بالإضافة إلى كتابة السورة على الدفتر عشر مرات على الأقل. وفي العام 1973 م سرق أحد طلاب الصف السادس بعض الأقلام والمساحات وبرايات الأقلام من حقائب زملائه، وبعد الشكوى أمر المعلم بتفتيش كل الحقائب فوجدوا المسروقات في حقيبة أحدهم، فكانت عقوبته أن وُضعت هذه المسروقات بواسطة قبعة من الورق على رأسه، وعمل له المعلم الوكيل ذيلاً من الورق و رسناً، وسُحب من قبل طالب آخر ودخل به إلى كل الصفوف ليكون عبرة لغيره، وقد اعترض غاضباً من هذا الفعل المعلم حمدان حمود الذي نزع تلك الأشياء عن الطالب.

ولم تكن تمر العطلة الانتصافية دون واجبات فكنا نُكلف بكتابة أحد دروس القراءة عشر مرات وبعض قصائد المحفوظات مثل ذلك أو أكثر، و يتم مشاهدتها في أول يوم من الفصل الثاني من قبل معلم الصف،

ويكتب باللون الأحمر شوهد. لم نكن نطمح إلى أكثر من هذه الكلمة التي لم نكن نفهم معناها حيث كنا نقرؤها بفتح الشين وكسر الهاء، وبالتالي قبِل المعلم الوظيفة دون مشاكل.

قبل إحداث الثانوية في البلدة كان عدد قليل من الطلاب يكملون دراستهم في صدد أو القريتين والقليل جداً من يستأجر غرفة في صدد، وأما الباقي فيأتون منذ الصباح الباكر مع الباص الذاهب إلى حمص قبل طلوع الشمس ويعودون معه في الساعة الثالثة أو مع أي سيارة شاحنة أو قلاب أو صهريج مازوت إن صدف ومرت ذاهبة في طريقها إلى القريتين.

لم تكن المواصلات والجوع والعطش هي المعاناة الوحيدة للدراسة في صدد وإنما كانت هناك مشكلات مفتعلة من قبل بعض الطلاب الصدديين، وسببها اختلاف العادات والتقاليد واختلاف الدين، وبالتالي كان هذا ينعكس سلباً على التحصيل والنجاح بالنسبة لطلابنا ولا يكمل دراسته الجامعية إلا القليل، و لكن لم يدم هذا طويلاً فقد تم إنشاء ثانوية مهين العامة في الثمانينات، وازدادت أعداد الطلاب من الجنسين فأنشئت مدارس ابتدائية و إعدادية أخرى وأصبحت المدارس وأعداد الطلاب في العام 2009 م كما هو مبين في الجداول التالي. وبسبب عدم كفاية الكادر التدريسي من أهل البلدة يتم فرز عدد من المعلمين والمعلمات من بلدة صدد ومن غيرها للتعليم في البلدة، وكان لذلك انعكاسات سلبية كثيرة على جودة التعليم، ومع هذا كله فقد تخرج عدد جيد من الطلاب من الجامعات والمعاهد ولكن لم يتم الاكتفاء الذاتي.

وبعد إحداث المجمع التربوي 2008 م كان هناك سباق ووساطة للحصول على كرسي في هذا المبنى الجديد، ومن الطبيعي أن تُرتّب بعض الأمور الشكلية لإجراء التعيينات فيتم ترشيح عدد من المدرسين، ولكن النتيجة محسومة لأحدهم بعينه كما هو معروف في نظام التعيينات لدى الحزب القائد للدولة والمجتمع، ومن ثم يتم تعيين الباقي من قِبل أبناء العشائر البعثيين والمتنفذين. وهذا التوصيف لا يقتصر على تعيينات المؤسسة التعليمية ولكن يشمل كل المؤسسات الأخرى، فالهدف الأول ليس ماذا يمكن أن أقدم في وظيفتي لخدمة أبناء بلدي ولكن ماذا يمكن أن تقدم الوظيفة لي من سلطة ووجاهة وفائدة.

الجدول التالي يبين أعداد الطلاب في العام 2009 م.

مدارس الحلقة الأولى و تضم الصفوف من الأول حتى الصف السادس					
م	المدرسة	عدد الشعب	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
1	نواف قدور	13	233	209	442
2	رياض حمود	16	259	226	485
3	6 تشرين	12	203	163	366
4	عطاالله القاسم	11	194	169	363

5	8 آذار	7	98	115	213
6	عين القصر	7	106	86	192

العامة تضم الحلقة الثانية والثانوي أي ست صفوف أما المهنية فتضم الثانوي فقط أي ثلاث صفوف					
م	المدرسة	عدد الشعب	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
1	مهين العامة	13	123	201	324
2	مهين المهنية	7	90	84	174

رياض الأطفال	
روضة أطفال الاتحاد النسائي	50
روضة أطفال واحة الطفولة	30

المركز الثقافي العربي

أحدث في العام 2002 م المركز الثقافي العربي في البلدة و وضع مؤقتاً في مبنى الهلال الأحمر فوق الجمعية الاستهلاكية قرب الساحة، وعُيّن معروف عوض مشرفاً له، وقد قدم المركز بعض الأنشطة الثقافية والاجتماعية والأمسيات الشعرية وندوات ثقافية ومحاضرات. كان يحوي في مكتبته على 2400 كتاب في مجالات مختلفة ومنوعة ومصنفة حسب تصنيف دوي العالمي، وكانت متاحة للإعارة.

اهتم المركز بجمع التراث والفولكلور الشعبي من أغاني وشعر شعبي وغيره وتقديم العروض الهادفة بواسطة (الفيديو سي دي)، وأقام حفلات فنية بالمناسبات الوطنية، كما قدم للطلاب في المراحل الابتدائية والاعدادية دورات في اللغة الانكليزية في عطلة الصيف ومعارض فن ورسم، ودعي إليه بعض الأدباء والمفكرين وألقوا محاضراتهم وأشعارهم.

الأمثال الشعبية

يوجد الكثير من الأمثال الشعبية المتداولة ومنها ما هو مشترك مع بلدات المنطقة أو مع المجتمع السوري نختار منها:

- القرعة بتتكنّى بشعر بنت خالتها
- إذا ما كبْرِتْ ما بتزغر
- اللي بتعضو الحية بيخاف من جرّ الحبل
- بجيبتك فرنك بتسوى فرنك
- يطعمك الحج و الناس راجعة
- إذا كنت الكيس أنا رباطه
- زيوان بلدك ولا قمح الغريب
- لا تنام بين القبور ولا تشوف منامات
- على قد بساطك مد أجريك
- باب الدار بفوت جمل
- حبل الكذب قصير
- البرد سبب كل عله
- كومة حجار ولا هالجار
- خلّف الكلب جرو طلع أرذل من أبوه
- خود البنات من صدور العمّات
- ركضت ركض الوحوش غير نصيبك ما
- تيتي تيتي متل ما رحتي جيتي
- جنازة كبيرة و الميت كلب
- خبي القرام الكبار لعمك آذار
- الحجر اللي ما بيعجبك بفجك
- تجارة إجحا بالبيض
- حساب القرايا ما إجا على حساب السرايا
- حارتنا ضيقة ومنعرف بعضنا
- الجار قبل الدار
- اللي فيه شوكة بتنخزو
- ميت (مئة) أم تبكي ولا أمي تبكي
- بعد الكبرة جبة حمرة
- أحدثها بالسّها تحدثني بالقمر
- عادت حليمة لعادتها القديمة
- مسابقة الحمير من حظ الراكبين
- اللي ما عندو شي ما بيسوى شي
- لولا الطيني تبهذلت المعلمين
- إذا طريت الذيب هيّرلو قضيب
- أكل ومرعى وقلة صنعة
- ثوب العياري ما بيدفي وإذا دفّا ما بيدوم
- عنزة الجربة ما بتشرب إلا من رأس النبع
- اللي بدو يصير جمّال بدو يعلي باب دارو
- عشنا وشفنا
- كل الدروب بتودي للطاحون
- درب الكلب على القصاب
- لا بهش ولا بنش
- طب الجرة على تمها بتطلع البنت لأمها
- أنا وأخي على ابن عمي وأنا ابن عمي
- إذا كان حبيبك عسل لا تلحسو كلوا
- الطاقة يللي بيجيك منها الريح سدها
- خبز الحاف بيعرّض الكتاف
- دار الظالمين خراب
- بوس الأيادي ضحك عاللحى
- ابعد عن الشر وغنّيلو
- اللي مابيشوف من ورا الغربال أعمى
- عالوعد يا كمون
- اللي أولو شرط آخرو سلامة
- ابنك على ماربيتيه، وجوزك على
- خبي قرشك الأبيض ليومك الاسود

- البغض بالأهل والحسد بالجيران
- الجمل لو شاف حردبتو بتنكسر رقبتو
- الجمل أعرج من شفتو
- تعب يمين وعرق جبين
- دخان يعمي ولابرد يهري
- خير ما تفعل شر ما تلقى
- خوذ اسرارهو من زغارهو
- بدك العنب ولا بدك تقتل الناطور
- الحية ما بيقتلها سمها
- حسنات قليلة بتدفع بلايا كثيرة
- حب حبيبك لو كان عبد أسود
- الحبل عالجرار
- البيت ضيق والحمار رفاس
- بكل عرس ايلو قرص
- دود الخل منو وفيه
- كل ديك على مزبلتو صياح
- بالمال ولا بالعيال
- الدم ما بيصير مي
- جوّع كلبك بيتبعك
- حظو بيفلق الصخر
- العرس بداريا و الطبل بحرستا
- الضحك من دون سبب من قلة الأدب
- بيظل شايل السلم بالعرض
- شباط ما ع كلامو رباط
- سمّن كلبك بياكلك
- رضينا بالبين والبين مارضي بينا
- طحان مابيغبر على كلاس
- رزق الكلاب ع المجانين
- سوس بجنازي ولا تسوس بجازي
- صمنا و فطرنا على بصلة
- الرفيق قبل الطريق
- بعد ما شاب ودّوه الكتّاب
- الحكي ايلك ياجارة، واسمعي ياكنّي
- خليها بالقلب تجرح ولا تطلع لبره وتفضح
- الدراهم كالمراهم حطّها ع الجرح يبرا
- درب الصد مارد
- بدّلوا غزلانهم بقرود
- جبل مع جبل مابلتقو بس انسان مع انسان
- الجوع كافر
- بيقتل القتيل وبيمشي بجنازتو
- بيقطع وبوصل من عندو
- بيت السبع مابيخلى من العظام
- بلهي الحمار عن عليقو
- بكرة بذوب الثلج وبيان المرج
- خيّط بغير هالمسلة
- حصوة بتسند الجرة
- الحركة بركة
- جا ليكحلها عماها
- حط الحزن بالجرة
- دق الحديد و هوي حامي
- ضاعت ولقيناها
- صابح القوم ولاتماسيهو
- زاد الطين بلة
- السكوت علامة الرضا
- رزق الداشر بيعلم الناس السرقة
- عيشة بعل
- ذكرنا القط قام ينط
- سنو ضحوك
- زيوان بلدك ولا قمح الغريب
- الشيء لا زاد عن حدو بينقلب ضدو

- عصافير بطني زقزقت
- شو شفت منك يا سفرجلة كل عضّة بغصّة
- شعرة من الخنزير مكسب
- الصياد عما يتقلى والعصفور عم يتفلى
- شحاد ومشارط
- الصديق وقت الضيق
- الطول طول النخلة ، والعقل عقل السخلة
- الجمل أعرج من شفتو
- صافي يا لبن
- ع جاه الورد بيشرب العليق
- العز للرز والبرغل شنق حالو
- اعط الخبز لخباز حتى لو أكل نصو
- جات الحزينة لتفرح ما لقت مطرح
- عقلاتو جوزتين بخرج
- اسأل مجرب ولا تسأل طبيب
- الزايد أخو الناقص والجود من الموجود
- الشمس ما بتتغطى بغربال
- صيط غنى و لا صيط فقر
- النصيحة كانت بجمل
- اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب
- صاحب الحق سلطان
- طعمي الثم بتستحي العين
- العجلة من الشيطان
- عديّم ووقع بسلة تين
- عريض عدل
- صاحب الحق سلطان
- عشنا وشفنا
- عصفور باليد خير من عشرة على
- الصاحب ساحب
- صاحب المال تعبان
- عد للعشرة
- جبنا الأقرع ليونسنا كشف عن قرعتو وخوفنا

عادات الزواج

إنّ ظروف الزواج وعاداته تتغير وتتطور وفقاً لتطور حياة الناس وحاجاتهم، ففي القديم حيث أعداد الناس قليلة ويعرفون بعضهم البعض كان الزواج يتم ببساطة شديدة، دونما تعقيد في متطلبات الزواج، والعريس يرى العروس ويعرفها بحكم أنها من الأقرباء على الأغلب أو من الجيران أو أن هناك صداقة بين العائلتين، ولكن بعد أن كبرت العشائر فالغالبية يفضلون ابنة العم تلبية لرغبات الآباء، بل منهم من يكون متشدداً في هذا فلا يسمح بزواج ابنة عمه لغريب عن العائلة حتى وإن كان أصغر منها سناً في بعض الأحيان، إلا إذا تجاوزت سناً معيناً ولم تُطلب من قبل أحد أقربائها، أو إذا كانت هناك عدم رغبة من الشاب والذي عنده إمكانية الاختيار متجاوزاً رأي والديه فله أن يختار عروسه بنفسه، وتتم له الموافقة حسب رغبته. ومؤخراً لم يعد للأهل كثير من السيطرة على اختيار عروس ابنهم ولا حتى إجبار الفتاة بقبول العريس المتقدم سوى إبداء المشورة والنصح، فالغالبية من هذا الجيل تعلم ودرس الاعدادية على

الأقل ولم يعد الزواج مجرد واقع لا بد منه كيفما كان، ولكن أصبح في النفس تخطيط للمستقبل، فالحياة لم تعد سهلة كما في السابق وليست مجرد غرفة نوم وطعام وشراب، بل لابد من كثير من الكماليات التي بات الجميع يتنافس في توفيرها.

قد لا يكون هناك تعقيدات بين الأقارب بخصوص مراسم الزواج، وتكون بحسب القدرة والوضع الاجتماعي، وتخصص غرفة من بيت الأهل للعروسين حيث لا ينفصل الشاب عن أهله إلا بعد أن يكون قد تمكن من بناء بيت خاص به، وهذا يعني أن الزواج يتم والشاب مازال يعتمد على أهله في كثير من الأحيان. ومن المشكلات التي تواجه البعض بعد مجيء الأولاد أو زواج الأخوة في نفس البيت هو عدد الغرف غير الكافية فيضطر الأخ الأكبر عادة للخروج من البيت إلى بيت آخر حتى ولو كانت ظروفه المادية غير كافية.

كان ولي الأمر يحدد مهر العروس بناء على الوضع المادي المعاش مع أنه قد يدفع من جيبه لمساعدة العروسين، ولكن بعد صعوبات الأوضاع المادية التي أصبحت تواجه الناس بشكل عام والتي لم تعد خاصة بالبلدة فقد تم الاتفاق على التيسير ما أمكن، حيث حددوا المهور بخمسة وثلاثين ألف ليرة سورية كمقدم، وخمسين ألف ليرة كمؤخر، ولم تعد هناك شروط تخص شراء الذهب والحلي أو تجهيزات غرفة النوم.

من الحالات الأخرى التي يكون فيها العريس غير معروف للفتاة وأهلها، وبعد طلب الفتاة وشرح وضع الشاب ومؤهلاته من قبل والدته أو والده، يطلب أهل العروس فترة للمشورة وبعد الاتفاق بين أهل الفتاة وإعطاء موافقة مبدئية للتعرف على الشاب يأتي برفقة والدته ليشربوا فنجان قهوة ويجلس الجميع معاً ويتحدثون أحاديث عادية ويختلس الشاب النظر إلى الفتاة وكذلك تفعل الفتاة ويسمعان كلام بعضهما، وفي اليوم التالي إن بقي العريس على رأيه من الفتاة يطلبون رد أهلها عن طريق الهاتف أو من خلال زيارة قصيرة، ويأتي رد أهل العروس بالموافقة أو الاعتذار.

عادات الزواج القديمة

بعد موافقة أهل الفتاة يتم الاتفاق على يوم الخطبة فيذهب أهل العريس مع مجموعة من الأقارب والأصدقاء إلى أهل العروس بعد المغرب أو العشاء، وبعد شرب القهوة المرة يتحدث من أوكله والد العريس بالحديث، ويكون كبيراً بالسن عادة، سائلاً والد العروس بعد مقدمة: (إي يا أبو فلان تفضل قول شو طلبك بالمهر) فيرد عليه (هذه بنتكم وأنتو بتعرفو الأصول وما بدنا زيادة عن الناس) وبعد أخذ و رد يُحدد حسب الفترة الزمنية، فتؤخذ بالحسبان أسعار الذهب والموبيليا واللباس والوضع الاجتماعي

للعائلتين، وكانت تقدر بحوالي عشرين ألف ليرة سورية بالثمانينات حيث تسلم لولي أمر العروس ومنها يتم شراء الذهب واللباس والموبيليا وأواني المطبخ.

بعد تحديد يوم النقلان (التلبيسة) لتلبيس الخاتم والساعة، يذهب أهل العريس والأقرباء المدعوون مصطحبين هداياهم للعروس منطلقين من بيت العريس بعد المغرب سيراً على الأقدام وتؤخذ كسوة العروس متضمنة من الحذاء حتى لباس الرأس، ولم تكن الفساطين جاهزة آنذاك ولكن قطع من القماش تقوم العروس بتفصيلها وخياطتها عند خيّاطة في القرية، وهناك يجلس الرجال في المنزول على حدة فيرحب بهم و يُسقون القهوة المرة، ثم تستأذن العروس للدخول لتوزيع الحلو بدءاً من يمين المجلس، فتتقدم بصينية مملوءة بالنوجا والراحة، فيأخذ كل شخص حبة أو حبتين ويضع نقوطاً على الصينية حسب ما يريد من الليرات السورية وتعتبر مساعدة للعروسين، وعندما تصل إلى العريس تجلس القرفصاء فيلبسها الخاتم والساعة ويضع لها نقوطاً ثم تتابع لتنتهي إلى آخر المجلس ثم تخرج.

يقوم البعض بدعوة شيخ لعقد عقد الزواج وفيها يضع العريس يده بيد ولي أمر العروس ثم يلقنهما الشيخ ما يجب قوله، يقول الولي: زوّجتك ابنتي أو موكلتي فلانة على سنة الله ورسوله على مهر معجل قدره كذا ومؤخر قدره كذا بشهادة الشهود والله خير الشاهدين) ويرد عليه العريس: (قبلت الزواج من ابنتك فلانة على سنة الله ورسوله على مهر معجل قدره كذا ومؤخر قدره كذا بشهادة الشهود والله خير الشاهدين) أو يؤجل هذا العقد ليوم الزفاف.

في الأيام التالية تقوم العروس بالتجهيزات اللازمة من خياطة الثياب وشراء الذهب وشراء الموبيليا (الخزانة والتخت ومرآة كبيرة وغيرها) بمساعدة أهلها وأهل العريس وهذا كله في السبعينات من القرن الماضي وما بعدها، أما في الفترة التي سبقت فالتجهيزات والترتيبات قد تختلف نوعاً ما. وبعد الانتهاء من التجهيزات اللازمة لغرفة العروسين يتم تحديد يوم الحناء وفيه يدعو كل منهما أصدقاءه وأقرباءه وتذهب قريبات العريس وأمه وأخواته إلى بيت العروس وتعقد الدبكات والأغاني. وفي الليل توضع الحناء بكفي العروس (حسب رغبتها) ويربط على كل كف بقطعة من القماش حتى الصباح لتصطبغان بشكل جيد، ويمكن للعريس أن يحني خنصره وقد لا يفعل ذلك. وفي اليوم التالي يوم الزفاف (يوم الدخلة) تدعى (مصففة الشعر) لتقوم بتجهيز العروس. ثم بعد الانتهاء تجلس العروس على كرسي وتلتف حولها النساء للغناء والزغاريد حتى المساء، ثم يأتي أهل العريس ويستأذنون لأخذ العروس فتركب في سيارة مزينة برفقة العريس وتجوب السيارات بعض شوارع القرية إعلاناً لهذا الزفاف، وكان يصاحب ذلك إطلاق النار للتعبير عن الفرح (سابقاً كانت تركب العروس فرساً أبيض وإذا كانت المسافة قصيرة تسير على قدميها) وعند دخول العروس لأول مرة من باب دار العريس تلصق عجينة على الجدار لتكون فألاً حسناً بثبات الزواج واستمراريته دون مشاكل وقد يوضع فيها ليرة سورية فيأخذها صاحب النصيب قبل أن تصل العجينة إلى الجدار، ويجلس العروسان بجانب بعضهما والنساء من حولهما يزغردن ويهلهلن.

وفي الخارج يعقد الرجال الدبكات على أنغام القصبة المصنوعة من شجر الزل أو ما شابه وهي أنبوب مفرغ وقد ثقّب بعدد من الثقوب تسد وتفتح بالأصابع أثناء الصفير بطرفها ولها مهارة خاصة في تغيير اللحن، وكان يجيدها نزار غوش وأحمد حمادي الشاوي اللذان قلّ أن يوجد عرس ولا يتواجد أحدهما على الأقل في هذا العرس. وفي فترات لاحقة كان البعض يدعو مجموعة من (النّوَر) يعملون كفرقة في الحفلات ومعهم طبل كبير وراقصتان، أو يدعون مطرباً شعبياً وفرقته للغناء، وتستمر مثل هذه الحفلات إلى ساعة متأخرة من الليل، ويحضرها من شاء بدون دعوة فهي تكون في ساحة واسعة أو في أرض مجاورة فارغة يتم تجهيزها مسبقاً بجمع حجارتها ورشّ الماء فيها لثبات تربتها. وفي اليوم التالي صباحاً تأتي أم العروس أو أختها محضرة معها الصباحية وهي عبارة عن فطور لإفطار العروسين والاطمئنان عليهما.

وفي هذا اليوم الذي يدعى (يوم الكرمة) تذبح الذبائح ويدعى الناس للغداء فيأتي البعض وخاصة الأصدقاء والأقرباء ومعهم كيس من الرز أو السكر ذو الخمسين كيلو أو شاة كهدية وهي مردودة في مناسبة قادمة عند من أتى بها. وبعد الانتهاء من الطعام يذهبون لتقديم التهنئة والنقوط للعروسين اللذين قد جلسا إلى طاولة وضعت عليها مجموعة من المناديل المصرورة بحبات من النوجا والراحة فيبارك لهما الشخص ويضع نقوده على الطاولة ويأخذ صرة ويغادر. وكانت الصرة عبارة عن منديل من القماش المطرز واستبدل لاحقاً بالمناديل الورقية المحارم. وبهذا تنتهي مراسم الزواج ويبقى في الأيام التالية الزيارات والتهاني.

عادات الزواج الحالية

في يوم الخطبة يتم فيه تلبيس الخواتم أيضاً حيث توزع الحلويات بعد الخطبة ويعقد عقاد الزواج عند الرجال ثم يؤذن للعريس بالدخول على النساء المحتفلات بالعروس التي تكون قد عملت ما يلزم لشعرها ومكياجها عند مصففة الشعر ولبست ثوب الخطبة، فيسلم عليها العريس ويلبسها الخاتم الذهبي وتلبسه الخاتم الفضي، ثم يقفان بجانب بعضهما وتغني النساء وتهلهل، وتوزع الحلويات وقد يعمل أهل العروس طعام العشاء للحاضرات.

يحدد يوم الزفاف حسب رغبة الطرفين، وقد لا تطول فترة الخطبة عادة إلا في حالات نادرة يعود فيها سبب التأخير إلى العريس غالباً بسبب السفر أو الدراسة أو الخدمة العسكرية ويتم الزفاف كما سبق. ولم يعد الناس يهتمون كثيراً ليوم الكرمة لما يكلفه من مصاريف في ظروف الناس الصعبة.

تقديم الطعام في يوم الكرمة

المناسف في يوم الكرمة

من الأغاني والهلاهيل في الأعراس

ما يقال على العروس:

يا ست يا وردة يا جبنة بتتعصّر يا صحن قيمق مرشوش عليه سكر

اللي معو مال ياخذ مثلك و أحسن واللي ما معو مال يتطلع ويتحسر

إحنا بنات العرب ما نركب إلا خيل نلبس محشّى ونرمي كمامنا للذيل

إش هالمخوّث يدق أبوابنا بالليل نسّيب حريمو واندوسو بنعول الخيل

شعرك هالطويل هيني على هيني شعرك هالطويل دوار الطواحيني

يا محلى الطاحون لا دارت حجرها تسقي حمام المسرْوَل بالبساتيني

بالمال بالمال يا ابن العم بالمالِ نيّخ اجمالك وهات الصاع واكتالِ

ونحنا بنات العم ما ناخذ رذالي ما ناخذ إلا وْلَيد العم والخالِ

شفت (علي) طالع من الحمّام عصرية كفّو محنّا وحجرةْ خاتمو غيّة

ما قلتلِك يا خيتو لاقيلو بقنية رشّي على (اسم العريس) ورد زهيرية

شعرك هالطويل ما أحلى النوم بظلو يحرم عليي الشتا والصيف أنا حلّو

ويروح بيّك للباشا ويقلوا حبّة من السمرة تسوى عسكرك كلو

ما يقال على العريس:

عريس عريس ثقّل خاتمك بيدك والكرم كرمك واللولو عناقيدك

دعيت رب السما يعطيك ويزيدك أنت شيخ العرب كل الناس تحت إيدك

بيني وبينك طويقة قد فم الكاس بيني و بينك حكي وش وَصّلو للناس

والرمل ما ينعجن والشوك ما يندا‌س والسر ما ينعطى إلا لناس وناس

يا حلاق احلقلو لا تجور عليه هذا (طارق) خيي اسم الله عليه

جبتلو البيتون بيش إنْ كان يكون والبسْ يا عينيي لأتفرج عليك

جبتلو المزوية بألف وخمس مية والبس يا عينيي عين الله عليك

جبتلو القبقاب من عند الخشاب والبس يا حباب لأتفرج عليك

جبتلو القميص من قبة ادريس والبس يا عريس لأتفرج عليك

جبتلو العقال بألف ومية ريال والبس يا خيّال لأتفرج عليك

سنّ الشـلفة واحميـهـا وللنــذلْ لا تـعطيـها

واعْطـيهـا لـهـالعريسْ بِـقلـب العِدا يعدّيـها

دق الرمـحْ بـراس العـينْ وانتــو يا شـبابْ منـينْ

نحنــا ربعـكْ يالْعَريـسْ والنعــمْ والنعمتـيـنْ

شـدّولو عرقاب النـوقْ ومـا عـزّ إلاّ عـزّ الخيـلْ

نحنــا رَبـْعَكْ يا الْعَريـسْ دحـّام العِـدا بالليـلْ

من العتابا

على المورد شربنا الماي براحات ومضينا مع الحلوين راحات
أيام المضن يا ابن أبوي راحت وما أظن تعود واحنا بالحياة

أسافي يا عمر رايح ضياعين اليمين وما غلي عليكم حدا
مشرد بالبراري والضياعين أنتم يا أحبابي ضو عين

يا جابر جبّر المكسور صبرا مريض وكيف أنام الليل صبرا
ترى جور الليالي يريد صبرا صبرنا على المقدر لا مضى

تهيمني منازلهم والفراق عسى ما ذقت لوعتهم و الفراق
حزن الطال يا ابن أمي والفراق مصيبتي والعدو بيي اشتفا

أبات الليل أضم الجرح وأرثي على اللي ما لهم بالحي ورثي
كم دار دعاها البين ورثة بعد ما بهرج للضحى

أبات الليل كني باسم حاي معضض والجروح اليوم حية
كل ما لفى طارش قمت أحيي هلا بالغايبين إلهم ثنى

أنا لأرسل سلامي للسلوناي سلو العود بقشورو سلوناي
كل الخلق ما يسلوني عنهم ولا يطفّو نار قلبي واللهب

مد الندى وأصبح بلا ماي شبه ورد الشبر يزهي بلا ماي
شهر تموز مضيتو بلو ماي كشف كبدي عفراق الحباب

ثلاث نوبات أجي للدار ما ألقاك
غرض ما لي أريد الشوف ما ألقاك

أجي لفرقاك م أسخى لفرقاك
خصيمو الله من كان السبب

تنام الناس وعيوني ما نامات
ترى الموعود وعيونو ما نامات

مدّينا الفرش وهيّرنا المنامات
طليع الضو وما بيّن حدا

عيوني ما تنام الليل ساعة
ولا يجيها النوم ساعة

وليفي لو يطلبني كل ساعة
على قلبي ألذ من الشراب

حلو يا مخضب الكفين بلحان
وخطماتك علينا اليوم بلحان

دعوني كما الناعور بلحان
شتا وصيف ما تبطل انحاب

من الأغاني الشعبية

ونْ هلْهلْتي هلْهلْنالِكْ
ثوّرنا البارود قبالكْ

والعفن الما هو من رجالكْ
يرحل ما نريد يقابلنا

ونْ هلْهلْتي يامْ دُراعةْ
ما ندري الموتْ بأي ساعةْ

ونْ هلْهلْتي يا عمتنا
نحنا الشباب بلمتنا

ونْ هلْهلْتي يا سوريّة
الواحد منّا يقابل ميّةْ

ويا عجي يا ابن المقرودةْ
بيع أمك واشري البارودةْ

والبارودة خير من أمكْ
عند الحربْ بتكشف همّكْ

ولا تهزوا ها لليمونةْ
إن هزيتوها بترموني

هاي الفرحةْ للعريسْ
هوي أغلى من عيوني

ولا تهزوا ها لليمونةْ
إن هزيتوها بترموني

وبكرةْ بنجوزْ فـلانْ وكلّكو تـاعوا هنّونـي

غابتْ الشمسْ يا ابنْ شعـلانْ واريـدْ ادور معازيـبـي

والـدّلـةْ تسكب على الفنجانْ وبهـارِهـا جوزة الطّيـبِ

بـبوري يـا حيّ الله ببـورْ ببـوري عَ الشام بيوديني

وانـا عَ فراق الولِف مَـقهورْ يـا مينـو بعدو بيسليـني

ويـا عمّـي ويا قايد النّـاقـةْ حطّ الخرج واردف الزيني

والبنت لـو كانتْ عشّـاقة تنعرف مِـن غمـزة العيني

ختان الأطفال

كـان الأطفـال يُختنون فـي أعمـار مختلفـة بسبب عدم وجود المطهر فـي البلدة، ويتم تجهيز الثوب المناسب للطفل، وكان يدعى سركس، لأنه لن يتمكن من لبس الكيلوت أو الكلسون بعد الطهور، وهو من قماش خفيف مخطط طولياً يشبه الجلابية المعروفة عند العرب وكـان لونـه أزرقـاً علـى الأغلـب، وهو يُفصّل مرة واحدة للطفل لهذا الغرض، ويمكن إعارته للغير أو لبسه حتى يفنـى أو يصبح صـغير المقـاس مقارنة مع نمو جسم الطفل. فكان يدعى مطهر مشهور فـي حمص يسمى أبو وجيه وخاصـة فـي موسم الصيف، ليأتي بسيارته التكسي الصغيرة التـي كانـت علـى شكل الخنفسـاء، هكذا كنـا نسميها فـي ستينات القرن الماضي، وقد تكون من نوع فولكسفاجن. وأبو وجيه رجل امتهن مهنة ختان الأطفال ويستخدم فـي عملية الختان سكيناً صغيرة حادة، أو شفرة حلاقة للقطع، ثم يضمد الجرح ضماداً عادياً ليعود فـي اليوم التالي ويغير الضمادة. ويُشهَد للرجل بأنه كان متقناً لمهنته، فبعد أن يؤتى بالطفل وقد أمسكه أحد الرجـال وبعد التجهيز للقطع يقول أبو وجيه للطفل بلهجته الحمصية: حبّاب، اطلّع لفوق وشوف الحمامـة) فينظـر الطفل إلى الأعلى ولا يكاد ينزل رأسه حتى قضي الأمر وبدأ بالتضميد، فيبكي الطفل خائفاً عند رؤية الدم وليس من الألم. وكان الناس يغتنمون وجـود المطهر فـي البلدة فيرتبـون معـه وقت ختـان أطفـالهم, فتـراه يتنقل بين عدة بيوت.

وفي الثمانينات عرف الختان بآلة كهربائية خاصـة، ومن خلالها يكوى الجرح ولا تـرى أيـة دمـاء، وكان بعض الأطبـاء مؤخراً يستخدمون القطـع ثـم الخيـاط كخياطـة العمليـات الجراحيـة. وفـي القديم كـان الناس يحتفلون بالختان كما لو كان عرساً فيبنـي بعضـهم بيت الشـعر فـي حـال تـوفره حيث تذبح الذبائح ويقدم الطعام للضيوف.

تربية الأولاد

ما زال الأولاد الذكور لهم الحظوة الكبرى لدى المجتمع، فالفرحة بولادتهم لدى شريحة كبيرة من الناس لا يدانيها فرحة، ومع هذا ليس هناك تمييز في المعاملة أو التربية منذ الولادة لدى الجميع حتى يكبروا. وفي القديم ودرءًا للعين وحفظاً من التابعة يعلق في كتف المولود حجاباً تأتي به الجدة على الأغلب من أحد الشيوخ المعروفين بكتابة الحجب، وربما تعلق في قماطه كفاً أزرق (تميمة) لحفظه من العين والحسد، وقد يربط في شعر رأسه بعد أن يصبح عمره بضعة أشهر، وهذا الأمر لا يقتصر على المواليد الذكور بل الإناث أيضاً.

وفي حالة المرض أو كثرة بكاء الطفل كان يشار على الأهل بأن الطفل معيون أي مصاب بعين وعليهم أن يعالجوه بصب الرصاص فوق رأسه، فيؤتى بكرة رصاص صغيرة كانت تباع في الدكاكين وبواسطة ملعقة كبيرة يتم تذويبها على النار، ثم يمسك فوق رأس الطفل بوعاء فيه ماء فيصب الرصاص المذاب في الماء فيبرد سريعاً متشكلاً بأشكال مختلفة داخل الماء محدثاً صوت تش تش ، ويكرر هذا العمل عدة مرات. وبعد معرفة أنه لا جدوى من هذا العمل تم تركه تدريجياً.

وفي مرحلة لاحقة كانت كثير من النساء تستعين بسيدة اشتهرت بقدرتها على معرفة مشاكل الطفل الرضيع والمساعدة في شفائه، وخاصةً ما كان يتعلق بالمغص والعوار. والعوار هو الأذى الذي يلحق بكتف الطفل بسبب حمله على الشكل الذي لا يراعي جسمه الغض، فكانت السيدة وصفية حجازي المعروفة بأم بدر تقوم بدهن جسم الطفل بزيت الزيتون وخاصة البطن والأكتاف، ثم تقوم بالتمسيد إلى أن ترى أن الأمر قد قضي وعادت الأمور إلى طبيعتها.

ومن الخرافات المتداولة بين النساء أن الطفل يكون ذو شخصية قوية مستقبلاً (وتعبر عن ذلك بذي عين قوية) إذا تم غسل وجهه ببول شاب أسمر، فإذا تأخر نطقه فيجب أن يشوى له عصفور ميت. وكانت مجرد أقاويل ومن المحتمل أن تكون مطبقة في عهد سابق.

ومن الأساليب التي كان يعمد إليها الأهالي في ضبط أطفالهم الصغار عند لعبهم وشغبهم وخاصة في الليل هو إخافتهم بالحرامي أو الغول أو الضبع، وابتدع البعض عبارات مثل (حمّال طيزو على الطبق) ولا يمكن لطفل أن يتخيل شكل هذا الحمّال العجيب مع أنه وصف مختلق لصحن الطعام. وبالنسبة للغول والضبع وغيرهما فقد كانت ترد كثيراً في قصص الكبار، وهي من حكايات خيالية متوارثة، ومنها حوادث حقيقية جرت مع البعض وتناقلتها الألسن حسب تذكرها.

وعلى النقيض من هذا كانت طاسة الرعبة التي لا يخلو منها بيت تستخدم لعلاج الخوف الذي يصيب الأطفال فجأة، وتستخدم للكبار أيضاً وهي عبارة عن زبدية مصنوعة من المعدن اللامع وقد كتب في داخلها أية الكرسي وبعض الأدعية، ولها أشكال متعددة فيشرب الخائف ماء بها ليذهب خوفه.

طاسة رعبة ولها اشكال مختلفة

وفي لعب الأولاد كانت هناك بعض الألعاب التي يلعبها الذكور والإناث على حد سواء مثل اللقسة (وهي خمس من الحصى الصغيرة)، و(الدوش) وهو مخطط على الأرض على شكل مربعات يقفز فيها الطفل من مربع لآخر على رجل واحدة، واللاقوط حيث يركض أحدهم لمسك الأخرين، وكذلك لعبة الإختباء. ويتميز الذكور باللعب بالكرة والسباحة في البرك المعدة لدواليب الهواء والصيد بالمطاط والفخ و يمكنهم الذهاب إلى البرية القريبة حول البلدة لصيد الحمّر والعصافير واستخراج التمّير والقفعرور والحلاو وهي نباتات لها جذور تؤكل وذلك في موسم الربيع والصيف. وكانوا يقلدون الكبار بقيادة السيارة وذلك بصنع دواليب من أسلاك قاسية وتوصل من وسطها بعصا طويلة وكان نبات الزل هو الشائع لخفته ومتانته، ويتم عمل دائرة كبيرة من نفس نوع السلك وتمثل مقود السيارة وتوضع من الطرف الآخر لعصا الزل، ويهتم الأطفال بتزيينها ورتابتها، ومنهم من يصنع لها عربة يقطرها من الخلف وتكون من بقايا علبة من الحديد غير القاسي وكانت تسمى كرّاجي.

المطاط و الفخ

الكرّاجي من ألعاب الأطفال قديماً

الأتراح

اختلفت العادات كثيراً عما كانت عليه في القديم حيث كانت المآتم تستمر ربما إلى أربعين يوماً، فلا يخرج أهل المتوفى من بيوتهم إلا للضرورة وتتشح النساء بالسواد، ومن ثم أصبحت تستمر لأسبوع إلى أن اقتصرت على ثلاثة أيام في الأربعين سنة الماضية.

في نهاية القرن الماضي باتت الخيمة تبنى في الأفراح والأتراح لتكون بديلاً عن البيوت الضيقة لاجتماع الناس في هذه المناسبات، فتبنى خيمة بجوار بيت المتوفى ليأتي الرجال فيقدمون العزاء (عظّم الله أجركم) وكان يقال قديماً (البقية في حياتكم أو على سلامة الدين والإيمان أو يسلم رأسك) ويكون الجواب (شكر الله سعيكم) ويخصص منزل المتوفى عادة لتقديم تعازي النساء.

عندما يتوفى أحدهم يجتمع أقرباؤه للقيام بواجباتهم بالوقوف مع عائلته في مصيبتهم والقيام بإجراءات الدفن المعروفة وبناء الخيمة وتجهيز القهوة المرة، حيث يقوم عدد من الشباب بحفر القبر وتجهيزه وقد كان يقوم بمهمة حفر القبر رجل من القرية أمضى حياته في حفر القبور قاصداً الأجر من الله لا غير، ويأتي شيخ القرية لغسل المتوفى عادة إلا إذا كان هناك من يمكنه فعل ذلك من أقربائه أو أصدقائه، ثم يكفن ويوضع في تابوت، ويكون قد أعلن شيخ الجامع عبر مكبر الصوت عن الوفاة وعن موعد الصلاة عليه وفي أي مقبرة سيدفن.

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:" كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور". آجروا أخوكم المرحوم فلان وإنا لله وإنا إليه راجعون وإنا على حكم الله من الصابرين، صلاة الجنازة الساعة كذا).

وكانت تُحمل الجنازة على الأكتاف ويتسابق الناس للمساعدة في حملها ثم أصبحت تُحمل في سيارة ويمشي الناس خلفها وكذلك السيارات الأخرى التي تحمل كبار السن عادة ليصلى عليها في الجامع الكبير، ويعلن شيخ الجامع في مكبر الصوت أنّ الجنازة صارت في الجامع لينبّه من أراد اللحاق بصلاة الجنازة، ثم قبل الصلاة يطلب أحد أبناء المتوفى أو أحد إخوته من الشيخ أن يخبر الناس إن كان لأحد دين في ذمة المتوفي أن يطلبه من ابنه أو أخيه فلان حتى تبرء ذمته. ثم يصلى عليه لينقل بعدها إلى المقبرة، وقبل الانتهاء من الدفن بقليل يُلقّن الميت من قبل الشيخ، واعتاد الناس الجلوس على الأرض أو في وضع القرفصاء عندما يبدأ الشيخ بقراءة آيات من القرآن الكريم ثم يقول مخاطباً الميت (اعلم يا عبدالله أن الله حق، وأنّ الموت حق، وأنّ الله يبعث من في القبور، فإذا جاءك الملكان يسألانك فلا تخف منهما، وقل لهما ربي الله، ومحمد ﷺ نبيي، والقرآن كتابي، وعشت ومت على شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله). ثم يدعو للميت. وبعد الانتهاء يصطف أقرباء المتوفى، ثم تمر الناس من أمامهم مشيرين بأيديهم قائلين أعظم الله أجركم ويُرَدّ عليهم شكر الله سعيكم.

يأتي المعزّون إلى الخيمة منذ الصباح للتعزية ويستمر ذلك إلى ما بعد صلاة العشاء، يجلس المعزي عادة وقتاً قصيراً ثم يذهب فاسحاً المجال لمعزّين آخرين عند امتلاء الخيمة، وهناك يحضر أحد طلاب العلم ويتحدث واعظاً ومواسياً، ويقوم أحد الأشخاص بتقديم القهوة المرة على المعزّين.

كان المعزّي يأخذ بيده علباً من السجائر وتقديمها في خيمة التعزية التي تكون قد وضعت فيها بعض العلب أصلاً لمن يريد التدخين، وقد تم النهي عن هذا الفعل من علماء الدين وطلاب العلم فبطلت هذه العادة منذ الثمانينات.

أما الطعام فكان يُقدم ثلاث وجبات يومياً في خيمة العزاء ويُعتبر الذبح وتقديم الطعام للمعزين واجباً، ولكن تغير هذا فأصبح على الأغلب وجبة واحدة أو يكتفى بتقديم الشاي والقهوة بعد نصائح العلماء بأن الطعام يُقدم لأهل الميت وليس العكس.

وفي الخيمة وبعد صلاة العصر توزع أجزاء القرآن الكريم على الناس لتقرأ الختمية، وبعد الانتهاء يتحدث أحد طلاب العلم واعظاً وداعياً إلى الاحتساب والصبر ثم يختم حديثه بالدعاء.

في صباح اليوم التالي للوفاة تذهب بعض النسوة من أهل الميت لزيارة القبر فيقرأن الفاتحة ويضعن عليه باقة ورد أو بعض الأوراق الخضراء، بالإضافة إلى رشه بالماء. وكان هذا العمل يستمر لمدة أسبوع وقد تراجع لثلاثة أيام أو أقل.

وفي عادات البعض أن تذبح شاة عن روح الميت بعد مرور أربعين يوماً وهو ما يسمى (الرعبون) حيث يتم دعوة الأقرباء وبعض الأصدقاء إلى الغداء لقراءة الفاتحة والدعاء للميت.

مشكلات مجتمعية

تختلف المجتمعات في أمراضها المزمنة أو الطارئة وذلك باختلاف الأسباب التي تخلق هذه الأمراض والمشكلات المجتمعية، وتتغير هذه المشكلات والأمراض عبر التاريخ، فتنشأ وتتطور أو تزول وفقاً للتأثيرات الخارجية والقوانين الحاكمة للدولة أو التأثيرات الداخلية الناتجة عن تطور بنية المجتمع العددية والتعليمية والدينية.

قبل سبعينات القرن الماضي لم تكن هناك مشكلات مجتمعية معقدة، حيث كان عدد السكان بضعة آلاف نسمة، ونسبة قليلة من المتعلمين، ولا تأثيرات خارجية مهمة، فطغت على حياة الناس الكثير من البساطة والإلفة والتعاون والكرم، فلا يجد الضيف القادم إلى البلدة مشكلة في عدم وجود الفنادق أو المطاعم، فكان يُستقبل من قبل أول شخص يتصادف معه من القرية، فيرحب به ويطعمه ويسقيه ويساعده في وجهته التي حضر من أجلها إن لم تكن هناك مشكلة في نوايا الضيف. وكانت علاقات الناس تقوم على الثقة والمسامحة والتعاون، فتجدهم يتعاونون (فزعة) في الحصاد والرجاد وعزق أرض الكروم وجمع الحطب وتجديد طينة الجدران وأسقف البيوت وفي الأفراح والأتراح. ولا يقتصر ذلك على الرجال بل النساء أيضاً.

إنّ موقع مهين في هذه المنطقة الصحراوية جعل انتاج الأرض من القمح والشعير لا يكفي مؤونة العام، وقد لا يمر هذا العام إلا كل بضع سنوات حتى ينتج هذا القليل. ومن ناحية أخرى فإن العنب والتين والزيتون وغيرها من الخضروات الموسمية القائمة على السقي قد تكون مفيدة لأصحابها في مواسمها لا غير، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها كمصادر للرزق، من هنا كانت الأعباء تزيد على الأسر شيئاً فشيئاً. وحيث أنه لا وجود لمعامل أو مصانع في المنطقة إذا استثنينا بعض الأفراد الذين تمكنوا من الحصول على وظيفة في خنيفيس (بالفوسفات) التي تبعد بالسيارة مقدار ساعة ونصف شرقاً فكان الخيار لعامة الشباب هو السفر إلى دولة الكويت طلباً للعمل، وقد ترتب على هذا إهمال طلب العلم، حيث أن مصاريفه غير متوفرة للكثيرين ونتيجته بعد التخرج لا تقارن بنتائج العمل في دول الخليج الذي لا يحتاج تلك السنوات المطلوبة في التعلم. فغياب الأب وعدم المتابعة على صعيد التعلم والدراسة كان له تأثير بالغ في أعداد طلاب العلم ونوعية تحصيلهم المرجوة، فأعداد العاطلين عن العمل أكثر بكثير من أولئك الذين يطلبون العلم، وهذا ما يدفع الأهالي للبحث عن أعمال تشغل أبناءهم وتسد حاجاتهم وتقلل من المشاكل الناتجة عن فراغهم، فمنهم من يعمل أي عمل في بلدة صدد وآخرون في معمل طيبة للحلويات في النبك والبعض يختار الذهاب إلى لبنان للبحث عن عمل. وبعد مدة من العمل وقد وجد الشباب المال بين أيديهم كان بعضهم يتزوج أو يبني غرفة أو بيتاً أو يشتري دراجة نارية بعد أن توفرت في فترة التسعينات. ومن سلبيات هذا العمل الذي يعتمد الأجر اليومي في أغلبه هو عدم احتراف مهنة معينة ليعمل مستقلاً في

المستقبل، بالإضافة إلى عادة التدخين التي يكون قد اكتسبها الكثيرون منذ الصغر، هذا إن لم يجد من يردعه عن المشروبات المحرمة أثناء عمله في صدد ولبنان.

وفي استطلاع للرأي عن المشكلات التي تعاني منها البلدة فقد رأى أحدهم أن المجتمع مازال يعتمد الحلول الجاهلية في تعاطيه مع المشكلات رغم أنه مجتمع مسلم، فالنصر للظالم رغم ظلمه وليس بإرجاعه إلى الحق، وهذا ما يفسر انجرار عشيرتين وراء مشكلة تحدث بين فردين منهما، ليصلا إلى عدم امكانية إيجاد حل يذهب غيظ الطرفين بعد تعاظم المشكلة وتعقدها. ففي الثمانيات شهدْتّ كثيراً من المشكلات التي تلجأ فيها العشائر إلى الأيدي والحجر والعصا في صراعاتها، ومن الغريب أن هذه الصراعات كانت تكثر في يوم الجمعة أو في شهر رمضان، وفي إحدى الصراعات الأخيرة التي حدثت أثناء الثورة استخدم الطرفان المتنازعان الحجارة إلى درجة أن أرض ساحة العين رصفت بتلك الحجارة التي تراشقوها، ولكن بعد فترة لاحقة من توفر السلاح بين الصغير والكبير بات هذا السلاح يشكل خطراً كبيراً على إمكانية إيجاد حل بعد أن استخدم في صراع ناشئ بين عشيرتين كبيرتين في فترة النزوح الأخير.

ومن وجهة نظر أخرى رأى أحدهم أن الحالة التي آلت إليها البلدة هي (الأقوى وليس الأنسب) وهذا ما عززه مدى القرب من السلطة أو وجود ما يشبه التحالف مع أفراد نافذين فيها من خلال الحزب وغيره من قطاعات الدولة، وليس قوة العشيرة بحد ذاتها، فالحزب هو أحد الدعائم المباشرة لإنتاج الحساسية والعنصرية بين الأفراد، والذي في مضمونه إلغاء الآخر حتى لو كان له نفس الانتماء، وبالتالي معاداة نجاحه والتقليل من شأنه وتصيد أخطائه لأنه يهدد الموقع الاجتماعي والاداري الذي أوصلهم إليه الحزب.

ومن النتائج المترتبة على ذلك أيضاً هو افتقاد المجتمع إلى روح العمل الجماعي، فلا يمكن أن توجد عملاً تتفق عليه معظم العشائر فالكل يجب أن تكون له الحظوة في الإدارة، لأن سوء الظن والحسد هما سيّدا الموقف، وهذا ما يترتب عليه الكثير من الجدل العقيم. أما القبعات فترفع لأصحاب الجيوب الممتلئة وهذه ليست مشكلتهم بالطبع، ولكنها مشكلة نظرة الآخرين إليهم، ويبدو أن هذا منذ القدم كما قال عروة بن الورد:

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرُّهم الفقير

وأدناهم وأهْوَنُهم عليهم ... وإن أمسى له حسبٌ وخِيرٌ

يباعده القريبُ وتزدريه ... حليلته، ويقهره الصغيرُ

ويُلْقى ذو الغنى ولهُ جلالٌ ... يكاد فؤاد لاقيهِ يطيرُ

قليلٌ ذنبُهُ والذنبُ جمّ ... ولكن للغِنى ربٌّ غفورُ

اللباس الشعبي

يلبس الرجال عادة الثوب الطويل الفضفاض (الجلابية) فيجدون فيه الراحة في الحركة والجلوس، ويخاط من قماش رقيق ليناسب فصل الصيف، أما في فصل الشتاء فتكون من قماش سميك، ويلبس عليها الجاكيت أوالفروة أو البشت، ويوضع الشماغ (السلك الأحمر) أو الحطة البيضاء (الكضاضة) على الرأس ومنهم من يضع العكال أو البريم أيضاً ويساعد في ثبات الشماغ والكضاضة على الرأس وإضفاء هيبة ووقار. إنّ هذا اللباس هو لباس كبار السن، وقد يرتدي الجلابية بعض الشباب في الصيف، ولكن جيل الأبناء اعتاد البنطال والقميص واللباس الرسمي والبيجاما.

من اليمين حسن أحمد الشحادة، عوض محمد الخليل، عبدالكافي القاضي

التنورة و الشنبر لباس المرأة منذ القديم

أما لباس النساء فقد مرّ بتغيرات عدة وفق فترات زمنية مختلفة ولكن في مجمله كان اللباس الطويل الساتر، فالتنورة القديمة كانت مخصّرة عند الصدر، ثم أصبحت بدون تخصير، ولباس الرأس القديم هو(الشنبر) الأسود وقلة مَنْ كنّ يلبسْن الشنبر الأبيض أو الأصفر، واعتادت كثير من النساء في العصر الحالي أن يلبسْن العباءة السوداء أو المانطو فوق التنورة، وعلى الرأس الشال أو ما يعرف بالقمطة.

الطعام والشراب

- **الأكلات الشعبية**:

كانت ومازالت هناك أكلات شعبية حافظ عليها الناس منذ القديم، ورغم أن بعضها يحتاج إلى الجهد والوقت ولكنها مفيدة للأسر الكبيرة بحيث تكفيهم ليوم أو يومين، ومنها:

الششبرك: يُخمّر العجين (طحين الدقيق) ويُقطع إلى قطع صغيرة ثم ترقق وتملأ بمخلوط اللحم والبقدونس والبصل، وتُلف على شكل أذن (لذلك يسميه البعض أذان الشايب) أو على شكل خوذة ثم يغلى اللبن، وتوضع القطع العجينية فيه ويغلى بمقدار ساعة.

المكمورة: من البرغل المعمول على شكل كرات صغيرة بحجم حب الزيتون العادي، يغلى الماء مضاف إليه العدس وزيت الزيتون، ثم توضع القطع السابقة وتغلى بمقدار نصف ساعة.

اللبنية أو البرمة: تنقع الذرة الصفراء لمدة ليلة كاملة، وفي الصباح يسحب من الماء ويدق بجرن صخري حتى يتفتت، ثم يوضع مع قليل من الماء ويغلى عليه، ثم يضاف اللبن. وكانوا قديماً يضعون القدر المليء بالذرة الصفراء والماء في التنور بعد الانتهاء من عملية الخبز.

الكرشة: الرأس والكراعين والمقادم لذبيحة الغنم أو الماعز وكذلك بالنسبة للبقر، تنظف وتحشى بالرز واللحم ثم تطبخ، ويمكن عملها فتة حيث تخلط اللحمة والمرقة والخبز المقلي والطحينة والثوم واللبن ويغطى بالبقدونس المفروم. وهذه الأكلة أصبحت نادرة منذ سنوات طويلة وقليل من الناس من يعملها ولكن مرة كل عام أو عامين.

من كرشة خروف

محشي الكوسا والباذنجان: يحفر ويحشى بالرز واللحم.

اليبرق: رز ولحم ملفوف بورق العنب.

محشي الكوسا و الباذنجان

يبرق ورق العنب

الكبة: برغل ولحم يدقان بجرن صخري ثم يحشى بلحم وبهارات ويطبخ باللبن أو يقلى بالزيت، وباتت تستخدم ماكينات يدوية أو كهربائية لطحن البرغل مع اللحمة بدل دقها بالجرن.

الجرن الحجري

كبة مقلية وأخرى باللبن

الفطائر:عجين الدقيق والسلق أو السبانخ المطبوخ والمتبل.

فطائر السلق والسبانخ

المجدّرة: برغل خشن مطبوخ ومضاف إليه العدس المغلي والبصل المقلي مع زيت الزيتون وبجانبه اللبن أو المخلل.

السيالة: يُغلى السمن العربي مع قليل من ماء اليانسون والسكر، ثم يسكب فوق خبز الصاج الرقيق والمكدس فوق بعضه البعض، وبعد تشرّب الخبز لمغلي السمن يُقطّع ويُقدم ويُؤكل باليد.

- **أطعمة الإفطار اليومية**:

كان الوضع المعيشي متشابهاً للأهالي قديماً حيث أعدادهم قليلة ويقتنون بعض المواشي التي كانت تقدم لهم الحليب ومشتقاته، ويزرعون بعض الخضار فكانت موائد إفطارهم متشابهة إلى حد ما وفيها: الحليب واللبن الخاثر واللبنة والجبن والزبدة العربية والسمن العربي والدبس والمكدوس والبصل الأخضر أو المشوي والبندورة والخيار والشنكليش وهو قريشة مملحة ومضاف لها البهارات كالفليفلة الحمراء والفلفل والحبة السوداء ثم تكوّر على شكل كرات صغيرة ثم تجفف وتوضع في مطربان مغلق بإحكام حتى يتعطن وجه كل منها خلال أسابيع أو أشهر، ومن ثم يؤخذ منها قدر الحاجة فيوضع بالزيت بعد الغسل والتقطيع.

- **مونة الشتوية**:

يمتاز شتاء المنطقة الطويل بالبرد القارس وقلة الأمطار، والتي تأتي غزيرة وتملأ الوديان بالسيول الشديدة الجريان قاطعة الطرق القادمة إليها، وقد تؤدي إلى تلف بعض البيوت الطينية أو أسوارها، وهذا ما يجعل الأهالي يجددون طينة السطوح وتمتين الجدران (أصبحت البيوت الطينية قليلة وبنيت الحديثة) وبما أن خيارات الطعام محدودة في الشتاء وليست متنوعة كما هي في المواسم الأخرى فيعمد الأهالي إلى تموين البرغل الخشن والبرغل الناعم وشقيق البندورة وشقيق الباذنجان ودبس البندورة ودبس العنب ودبس الرمان والكشك وقمرالدين والتين الجاف والزبيب.

ومن روائع المناظر في الريف قديماً أن تجد كل الأهالي يقومون بنفس العمل في المواسم فمن أجل تموين البرغل، وبعد أن يكون الناس قد حصدوا ما زرعوه في سنين الخير وحصلوا على القمح اللازم وبعد عملية التصويل والتنظيف، يوضع في الجعيلة أو الحلّة على موقد في أرض الدار أو في الشارع حتى تسلق ثم تنشر وتجفف وتجرش. وكذلك الأمر في مواسم الخضار والمشمش والعنب والتين من أجل الدبس والتجفيف (الشقيق).

جعيلة سليقة للبرغل

شقيق البندورة

شقيق الباذنجان

دبس البندورة

تين يابس

الزبيب

- **الشراب:**

الشنينة الناتجة عن خض اللبن هي الشراب الشائع وخاصة في أيام الحر لما له من فوائد في إنعاش الجسم وصحته، وكان يوضع اللبن قديماً في قربة وهي كيس مصنوع من جلد الخروف أو الماعز، وتقوم النساء عادة بتحريك هذا الكيس حتى تنفصل الزبدة عن اللبن الذي يصبح شنينة. أما في عصر الكهرباء فقد اختفت القربة وحلّت الأجهزة التي وفرت الوقت والتعب .

القربة

الصناعات اليدوية القديمة

أسرجة الحمير: وهو ما يوضع على ظهر الحمار (الجِلال) وطريقة عمله تتم بحشي كيس من الخيش بالقش أو ورق الزل أو بقايا قش الذرة الصفراء ويخاط بحيث يكون متناسقاً مع ظهر الحمار ثم يضاف إليه حزام البطن وحزام الفخذين تحت الذيل.

حجر الكذان (النحيت): حجر كلسي محلي يقطع من الأرض الكلسية بأحجام مختلفة وعلى شكل مكعبات أو ما يشابهها ليستخدم في الجدران لفتحات الأبواب والنوافذ وكذلك في القناطر، وله فائدتان المتانة والمنظر الجميل، حيث يمكن زخرفته والرسم عليه بسهولة.

التنور: طين أصفر مع بقايا القنب والنخالة والشعر (يمكن أخذ الشعر من صالونات الحلاقين) حيث يخلط ويضرب بخشبة حتى يتجانس، وتتم عملية الصناعة على فترات.

التنور

صناعة الأقفال الخشبية: وتسمى (سُكّرَة أو دقّارة) وهي لأبواب الدور أو أبواب الكروم، وتركب من الداخل قبل أن توجد الأقفال الحديدية ذات المفاتيح العادية الكبيرة، ولكنها بقيت مستخدمة في أبواب الكروم. والدقارة تعمل كقفل لا يفتح إلا بمفتاحها الخاص والذي يكون كالمسطرة السميكة بطول عشرين سم تقريباً وبطرفه عدة مسامير قصيرة، ويختلف توزيعها من مفتاح لآخر، وعند إدخال المفتاح في الدقارة يرفع للأعلى لتدخل المسامير في ثقوب نزل فيها مسامير متحركة تغلق الدقارة لترتفع هذه المسامير المتحركة فتسحب الدقارة ويفتح الباب. وتوجد فتحة في الأبواب لإدخال اليد لوضع المفتاح في مكانه من الدقارة.

الكوايز: و تصنع بنفس طريقة صنع التنور وتستخدم لحفظ الحبوب.

اللّبن : (بكسر اللام والباء) من الطين المخلوط بالتبن ويصنع بقالب خشبي مقسوم إلى قسمين أحدهما ضعف الآخر لتكون لبنة ونصف اللبنة. وبه تعمر جدران البيوت بعد التأسيس بالحجارة التي تجلب من مقالع الحجر في البرية. أما جدران الكروم فلا يتم عملها بقوالب عادة، ولكن يقطع الطين وهو ممدد على الأرض بقطع كبيرة نسبياً. وهذا أسرع للعمل وتكلفته أقل.

صناعة البسط: وكانت من الصناعات الهامة، ويصنع البساط من بقايا الألبسة القديمة البالية بعد قصها على شكل شرائط بعرض 2-3 سم و لفها، ثم تستخدم في نول خشبي يدوي. وكان آخر نول يعمل للسيد سالم الأعتر.

صناعة الخيطان: خيطان الصوف أو القطن أو من شعر الماعز وتتم بطريقة المفتلة باستخدام عيدان من الخشب، وكان بعض كبار السن يجتمعون للتسلية في مكان ما كساحة العين أو أمام بيوتهم على مصطبة وبيد بعضهم هذه المفتلة.

صناعة الأطباق: تُعمل الأطباق من سنابل القمح على شكل دائرة ومنها الطبق أوالطباقة والطبوقة وتوضع عليها الصحون وأوعية الطعام والخبز أثناء تناول الطعام، وهي ذات مساحات مختلفة لتناسب عدد الأشخاص الذين يتحلقون حولها. ومن السنابل أيضاً يتم عمل القفّة والقفورة، وتستخدم القفّة لوضع العنب والتين وغيره وجلبه من الكروم، وتحملها المرأة على رأسها. كما تستخدم القفورة لجمع بيض الدجاج. وفي مرحلة تالية حيث لا وجود لسنابل القمح بسبب القحط وعدم الزراعة توفرت السنابل البلاستيكية الملونة والمتينة وهي تحاكي سنابل القمح بشكلها ولذلك توجد أطباق من البلاستيك وأخرى من السنابل.

صناعة الطواقي: وتوضع على الرأس مباشرة تحت الشماغ وتنسجها النساء من خيوط خاصة، ومن خلال تجار محليين في يبرود والنبك كانت تصدر إلى منطقة الخليج.

الطواقي

قفّة وطبق

شباك الصيد: وتصنع لصيد طير الحر حيث ينشط هذا الطير في مناطق البرية المجاورة والتي تمتد إلى أرض الحماد الواسعة. وعند صيده يباع إلى دول الخليج بأسعار مرتفعة عادة.

صنارات صيد السمك: وتستخدم في صيد السمك المتواجد في سدّة مهين وسد القريتين والسدّات الصناعية الأخرى.

مهين والثورة السورية

جاء الربيع العربي ولم يكن لأحد أن يتوقع وصوله إلى سوريا، ولكنه وصل في آذار العام 2011 م. وعمّت الفوضى في بعض المناطق السورية وكان أهالي مهين يتابعون أخبار المظاهرات عبر القنوات الفضائية ولديهم شعور بأن الذي يجري لن يصل إليهم، وتصاعدت الأحداث بعد أشهر قليلة، وعمّ القتل الممنهج للمتظاهرين. استغل الأهالي غفلة الحكومة وانشغالها، فلا رقيب اليوم على تشييد الأبنية أو حفر الآبار الارتوازية، فبنوا وحفروا دون خوف أو محاسبة، وقد كانوا لا يجرؤون على بناء حمّام لأنه كان يحتاج لرخصة بناء، ولا يستطيعون استخدام آلة الحفر الارتوازي ولا حتى زرع الشجر فكله ممنوع. وزرع الناس الخضار وبعض الأشجار المثمرة مستخدمين المولدات الكهربائية لتشغيل دينامو لسحب الماء والسقاية، وانتعشت حياة الناس رغم الأحداث المأساوية التي تجري في مناطق كثيرة من القطر، ولم يتمكن شباب البلدة من النأي بأنفسهم عن الأحداث الجارية من حولهم، فتظاهروا وعبّروا عن رفضهم للقتل وطالبوا بإسقاط النظام.

كانت المظاهرات تخرج غالباً يوم الجمعة بعد الصلاة بسبب العطلة، وتفرغ الشباب حيث لا عمل في هذا اليوم غالباً، مع أن معظم هؤلاء الشباب من الذين لم يكملوا تعليمهم أو مازالوا طلاباً حيث انكفأ الموظفون والجامعيون.

في ليلة من الليالي أفاق الأهالي على وقع ضربات دبابة، وتكشّف ذلك عن مهاجمة فصائل مسلحة للجيش الحر لمستودعات الذخيرة الكائنة في الجبل الصغير المجاور للبلدة حيث تم أخذ كمية قليلة من السلاح في عدة سيارات شاحنة كانت معدة لهذا الغرض، وقد أصيبت إحداها أو تعطلت قرب عين القصر، فكانت غنيمة سهلة منذ الفجر لعشرات الشباب الذين نقلوا ما بها وخبؤوه. وبعد أن استيقظ النظام واستعاد وعيه لما جرى طلبوا استرجاع الذخيرة وإلا..(تهديد). وتمّ الاتفاق مع الوسطاء على استرجاع الذخيرة إلى باب جامع مهين الكبير دون ملاحقة أحد، فكان البعض يأتي بالذخيرة التي أخذها طواعية ويضعها منذ ساعات الفجر الأولى لليوم التالي ويمشي دون مراجعة أحد. وانتهت القضية ونجت البلدة من العقاب، وتغيرت قيادة المستودعات من العقيد سعدالدين إلى العقيد يائل الحسن.

استمرت المظاهرات وارتفع علم الثورة في ساحة العين على أحد أعمدة الكهرباء. لقد كان الشباب متحمسين جداً حيث قاموا بتنظيم أنفسهم، وعملوا تنسيقية ثورية كما كان يحدث في معظم البلدات والمدن الثائرة، وبثوا مظاهراتهم ليلاً من ساحة العين إلى قناة الجزيرة رغم تواجد قوات النظام في المستودعات قرب البلدة والتي بدأت بتسيير دورياتها في النهار لترصد وتنقل أخبار البلدة مستعينة ببعض ضعاف النفوس عما كان يجري.

في أحد الأيام جاء الإنذار الأول نهاراً من طائرة حوامة مستخدمة الرشاش في الضرب العشوائي على شوارع القرية وعلى أسطح بعض البيوت، ولكن الله سلّم ولم يُقتل أحد، وكانت هناك بعض الأضرار لخزانات المياه التي طالها الرصاص، ولكن الضرر الأكبر كانت الصدمة على وجوه الناس الذين تملّكهم الخوف والهلع.

باتت دوريات المستودعات لا تفارق شوارع البلدة ليلاً أو نهاراً، وكانت تستعرض قوتها في سياراتها المملوءة بعدد كبير من الجند ورشاش تحمله على ظهرها، ويقف خلف زناده أحد العناصر، فكانت تعتقل وتحقق، ولا تتوانى عن إطلاق بضع رصاصات من بنادق روسية لبث الرعب بين الناس، بل قتلوا أشخاصاً مطلوبين بدم بارد، هذا عدا عن المدفعية الثقيلة المتمركزة في مكان مرتفع من المستودعات يشرف على القرية، والتي لا يمر يوم إلا وقد ارتجّت بيوت البلدة من قذائفها التي كانت ترمى باتجاه الأراضي المحيطة .

لقد ذاع صيت العقيد يائل الحسن العلوي من الحرس الجمهوري في المنطقة كلها، والذي بات يُعرف بعقيد الجبل. لقد حيكت حول هذا العقيد القصص والحكايات، وألفت بحقه الخرافات وما بقي إلا أن يضاف إلى الأساطير، فقد كان يتنكر بثوب بدوي، ويموه سفره بعدة سيارات مختلفة، ويلبس بزته العسكرية حيناً، و يتمشّى في شوارع مهين وحوارين للتعرف على أحوال الناس، ويحلّ بعض مشاكلهم. فقد ذكر أنه أرسل بعض المال لأناس فقراء، وزودهم ببعض المازوت للتدفئة في الشتاء، وتجاوب مع آخرين في فك أسر بعض المحتجزين عنده، وهذا غيض من فيض مما قيل، ولكن بالمقابل ماذا فعل عقيد الجبل قائد المخازن 558 المعروفة بمستودعات مهين؟

بعد استلام المستودعات، وضع الدشم اللازمة لحمايتها ورمى عدداً كبيراً من حمولات التراكتور من الحجارة في طريقها الرئيسي تاركاً ممراً ضيقاً بشكل متعرج لمرور السيارات، ثم تعرف على جغرافية بلدات المنطقة مهين وحوارين والحدث والغنثر، وتعرّف على الطرق الرئيسية باتجاه مدينة القريتين، وباتجاه بلدة صدد، والطرق الترابية الأخرى، وتواصل مع بعض البعثيين الذين كانوا يأتونه في مقره بالمستودعات، ولم يفته مقابلة بعض الناس بقصد أو عن غير قصد في بيوتهم أو في الشوارع التي كان يقصدها، وتمكن من اختراق المجتمع في مهين وحوارين من خلال بعض مرضى ومريضات النفوس. لقد اتخذ ملازماً إمّعة يدعى مصطفى الخضر من بلدة موحسن في ديرالزور مساعداً له في كل أعماله وتحركاته، وتبيّن للجميع أن هذا العقيد السيء المنشأ والتاريخ كان الحاكم بأمر الله في المنطقة الممتدة من القلمون إلى مدينة القريتين.

كانت سيارات الدوشكا وكثرة العساكر وسلاحهم يثير الرعب عند الأهالي أثناء تجوالهم في شوارع البلدة وكأن حرباً وشيكة ستقع. لا يدري أحد ماذا كان يخطط هؤلاء، ولكن يتضح من سيرهم البطيء تارة والسرعة الجنونية تارة أخرى بأنهم لا يريدون الخير، ولا تكاد تمضي ساعة حتى ينتشر الخبر في

البلدة كلها بفعلة هؤلاء المجرمين، أخذوا فلاناً أو سألوا عن فلان وأخذوا سيارة فلان لقضاء بعض حاجاتهم، ولا يمكن لأحد أن يمتنع عن تقديم ما يلزمهم فهم يحمون الوطن من المسلحين وإلا فأنت لا تحب الوطن أو أنت خائن، وببساطة (اطلع معنا). تقرأ في وجوههم الحقد واللؤم والضغينة، فمنهم من ترك لحيته تطول، و كانت أعمارهم بين العشرين والثلاثين ويتكلمون بلهجة واحدة (لهجة العلويين)، مع أن بعضهم من دير الزور أو من الحسكة أو من حلب. لقد جمعهم المال والسلطة ليس إلا.

كان الليل لا يمر بسهولة على كثير من الأهالي فهم لا ينامون طبيعياً، فكل ليلة يتوجسون شراً من سيارات الدوشكا أو من بدء معركة من طرف واحد بالمدفعية الثقيلة، تهز جدران البيوت وتضيء سماء البلدة بدءاً من الجبل، حيث تقع القذيفة قريباً على أطراف البلدة، وأحياناً قرب البيوت في محطة القطار. و في الصباح لا يوجد شيء مما حدث غالباً، وقد تجد سيارة شاحنة تشتعل فيها النيران. وكان يعمد إلى قصف الطرق الترابية القادمة إلى البلدة، كما قصف مرة مدينة القريتين وذهب بنفسه ليرى آثار قصفه على بيوتها، وسأل أحد الأشخاص هناك في أحد الشوارع التي طالتها القذائف: منْ قصف هذه البيوت ؟ فرد عليه من دون معرفة به (عقيد جبل مهين والله ، رجمنا) فتبسم مغروراً. لقد روّج لنفسه بين الحين والآخر أنه الإنسان الشريف الآدمي الذي يحبّ الناس ويساعد الفقراء وما يريد إلا الإصلاح. ولكن كم من شاب قضى ظلماً على يدي هذا المجرم الذي ينفذ سياسة النظام حرفياً بل وزيادة (دون أن يرفّ له جفن). لقد سجن وقتل وحوّل إلى مراكز التعذيب في المدن، وأخذ سيارات مدنية لعدة أيام لاستخدامها في التمويه والتخفي أثناء تحركاته أو ملاحقاته للناس، فاضطر البعض مكرهاً لبيع سيارته التي يستخدمها في تحصيل رزقه. ومع هذا كله كان في البلدة وغيرها من القرى المحيطة منْ يسهّل عمل هذا العقيد ومنهم نساء مع الأسف.

العقيد يائل الحسن

ومما كشفت عنه الأيام حينها أن الحروب التي كان يصطنعها بمدفعيته وخصوصاً في الليل ما هي إلا حروباً وهمية، ومن ورائها عقدُ صفقات وجني لملايين الليرات من المهربين وخداع للدولة، وبالتالي لا بد من ترك سيارة محروقة هنا وأخرى معطوبة هناك كدليل على جدية عمله. لقد جرت محاولات عدة للإيقاع به من قبل الجيش الحر ولكنه ينجو في كل مرة، وحتى ينتقم لنفسه كان يجري اتصالاته للانتقام، فتأتي طائرة حربية ليلاً وتقصف مجموعة من الصواريخ القصيرة بشكل عشوائي على البيوت وعلى أي سيارة تتحرك وقد أصيب أناس بجروح. وفي حادثة مماثلة جاءت طائرة حربية ليلاً وقصفت لا يقل عن عشرين صاروخاً على البيوت بشكل عشوائي أيضاً وفي أماكن العمران المكتظة وتضررت بعض البيوت واستشهدت زوجة عبيد القدور وأصيب آخرون.

لقد نقل أحد الأشخاص الذين عرفوا العقيد عن قرب أنه كان ذو مزاج غريب فهو هادئ أحياناً ويسمع للآخر، ولكنه في كثير من الأحيان يفقد السيطرة على نفسه فيرفض استقبال أي أحد حتى لو كان من الفسافيس المقربين ويكثر من شرب الخمر. وذكر أيضاً أنه نفذ القتل بيده لبعض العساكر الذين اكتشف تخطيطهم للانشقاق عن الجيش أو الهروب. وكان له مغامرات مع النساء فقد ارتبطت به امرأة من حوارين.

لقد تحولت حياة الناس إلى اضطراب وقلق، حيث يجري الحديث عن تسريبات من عناصر الجيش الحر أن الأيام القادمة تحمل معها أخطاراً كبيرة للبلدة، وأن التحضيرات جارية للاستيلاء على مستودع الذخيرة الكائن في الجبل بجوارها.

الاستيلاء على المستودعات والنزوح

في 21 \ 10 \ 2013 م أفاق أهالي مهين وحوارين على صوت انفجار قوي ارتجت له البيوت وآثار هلعاً شديداً في النفوس، وقد تبين أنه كان قد استهدف حاجز جيش النظام ومخيمه المقام على الطريق من حوارين باتجاه مدينة القريتين معلناً بدء الهجوم على المستودعات، حيث اشتركت عدة فصائل من الجيش الحر بما فيهم شباب من البلدة انضوت تحت لواء هذه الفصائل، وعند دخول هذه الفصائل ليلاً وتوزعها حول البلدة لقطع الطرق على النظام قبل ساعة الصفر كان نزوح الأهالي من البيوت القريبة من منطقة المستودعات قد بدأ، ولكنّ الكثيرين من الأهالي لم يكونوا على علم بما يجري إلا بعد سماع صوت الانفجار.

الناس في حيرة وذهول، يلملمون القليل من حاجاتهم ويهرعون يمنة ويسرة ويتفقدون بعضهم البعض ويتساءلون ماذا نفعل؟ أين نذهب؟

كانت راجمة الصواريخ في الجبل تقصف باتجاه البيوت المواجهة لها مما جعل ساكنيها يفرون منذ الصباح واللجوء إلى بيوت أخرى بعيدة عن الواجهة كمرحلة أولى للنزوح، والذي خياره الوحيد مدينة القريتين وهي تبعد عشرين كيلومتراً وتحت سيطرة النظام. وبعد ساعات قليلة قصفت الطائرات بعض المناطق والبيوت المحاذية للمستودعات واستشهد الشاب رشيد العلي وأصيب عدد آخر وفتاة بجروح متفاوتة. حمل الناس القليل من متاعهم مستخدمين وسائل النقل المتوفرة لديهم، الدراجات النارية، التراكتورات، السيارات، ومنهم من كان يسير على قدميه برغم آلام شيخوخته فلم يعد هناك متسع له في آليات النقل. سيل من البشر يفرون بأرواحهم و أطفالهم ونسائهم إلى مدينة القريتين.

في القريتين امتلأت المدارس والمركز الثقافي وبيوت كثير من الأهالي وبيوت كانت قيد الإنشاء، ليس لها أبواب أو شبابيك، وتحمّل الناس الزحام في الغرفة الواحدة وشظف العيش والجوع والعطش ثم تحملوا برد الشتاء وإذلال بعض الأهالي لهم. وصبر الناس إلى ما شاء الله، والعيون والآذان والقلوب تهفو إلى بلدهم.

كان شارع القريتين الرئيسي يزدحم منذ ساعات الصباح الأولى، يلتقون ويتفقدون بعضهم البعض ويسألون عن أخبار البلدة، إنهم يسمعون دوي الطائرات وأصوات الانفجارات ويرون في الليل من أعلى المباني نيراناً ترتفع وتنخفض في أماكن عدة من البلدة وألسنتهم تلهج بالدعاء إلى الله اللهم سلّم، اللهم فرّج اللهم أستر، اللهم احفظ شبابنا...

عندما خرج الناس من البلدة وقد كانوا يريدون النجاة بأنفسهم لم تسعف الذاكرة بعضاً منهم لأخذ أوراقهم الثبوتية، فمنهم من تركوا أموالهم أو دوابهم فبدتْ كل أملاكهم تافهة أمام الحفاظ على حياتهم وحياة عائلاتهم. ومن العجيب أنه لم يكن هناك أي نصيحة من شباب الحر للأهالي فقد كانوا غير مبالين ولسان حالهم يقول لا تذهبوا رغم معرفتهم التامة بأن جيش النظام لن يكون قادراً على الانتقام إلا من الأهالي.

في مدينة القريتين حيث بدأ نمط من العيش لم يعتده الناس، إذ ارتفعت أسعار المواد بشكل غير مسبوق، الخضار، الطعام، اللباس، فحاول الكثير منهم الرجوع إلى مهين لجلب ما أمكنه من أمتعة وألبسة وغطاء ووطاء ومونة، مخاطرين في سبيل ذلك بحياتهم، فالحرب قائمة ولا أمان من الطائرات المغيرة ولا من القذائف أو الصواريخ، وحاجز القوس في القريتين يتفنن في إذلال الناس وأخذ الرشاوي للسماح للناس بالمرور.

بعد ثلاثة أسابيع انتهت أسطورة عقيد الجبل، ولكنه هرب أو تم تهريبه، وخرجت فصائل الحر من البلدة بعد أن أفرغوا المستودعات من محتوياتها. ولا أبالغ إذا قلت أنّ فيها ما يسقط نظام الأسد وميليشياته ولكن! ثبت فيما بعد أنّ كلّ فصيل يغنّي على ليلاه، لقد دخل جيش النظام إلى البلدة وقتل ثلاث مسنين آثروا البقاء في بيوتهم، وبدأ تعفيش البيوت وحرقها ولم تسلم الأماكن الرسمية أيضاً، فقد نهبوا كل شيء،

المدارس، البلدية، وحدة الهاتف، وحدة الزراعة، وغيرها، لقد قطعوا الكابلات وسرقوا المحولات وعدادات الكهرباء وعدادات المياه وسحبوا أسلاك التمديدات الكهربائية من جدران البيوت، وحرقوا الجامع الكبير ثم عرضوه على القناة السورية يتهمون (الارهابيين) بحرقه. كانت إبادة شاملة لكي لا تعود الحياة مرة ثانية إلى البلدة.

صدمة كبيرة مما يجري وحالة من اليأس انتابت الجميع، وحتى الذين يرتبطون مع النظام بشكل أو بآخر وقفوا عاجزين عن فعل أي شيء، فلم يكونوا قادرين على تغيير أي شيء من هذا الواقع المؤلم والذي كان لا يفرق بين أحد، فلا صوت يعلو على صوت الشبيحة وكان القول الفصل لهم، فقد تقرر مسح البلدة تماماً والانتقام من الحجر والبشر. لقد كانت مجموعات من ميليشيا الحزب القومي السوري الاجتماعي وغيرهم من الذين شاركوا جيش النظام في الدخول إلى البلدة هم من يسرق وينهب ولا يتركون أي شيء.

لا أعرف كيف تمت الأمور و قد تقرر أن تعود الناس إلى البلدة، وجاء الضغط الأول على الموظفين ومطالبتهم بالدوام في وحداتهم ومؤسساتهم وتأهيل هذه المؤسسات من جديد.

ذهب عمال محطة القطار والكهرباء والبلدية مجبرين ليشهدوا على جريمة التتار الجدد في بلدة مهين وكان عليهم أن يستمعوا إلى محاضرة في الوطنية عند حاجز الجيش بالإضافة إلى مزيد من التهديد والوعيد، وهذا التهديد لا يعني إلا القتل طالما لم يبق شيء ليخسروه إلا أرواحهم.

وفي اليوم التالي ذهب المدرسون وكل من لم يلتحق من الموظفين الآخرين، في هذا اليوم الشتوي الماطر والبارد. لم يكن لأحد أن يتخيل كيف ستبدو الشوارع والأزقة والبيوت، لقد كانت المناظر عصيّة على الوصف وكأنها مدينة صُمّمت لأفلام الرعب، فلا يمكن أن تجرؤ على السير وحيداً دون رفيق يقاسمك هذا الرعب. كان الموظفون يتفقدون بيوتهم بشكل جماعي وكانت الصدمة كبيرة، فلم يُترك بيت دون تخريب أو حرق.

من بعد الظهيرة يعود الموظفون إلى القريتين ليعود التتار لممارسة هوايتهم في سرقة ما تبقى من أبواب و شبابيك وخزانات المياه.

غامر بعض الأهالي وذهب إلى البلدة ليروا ماذا ترك لهم الشبيحة من ثياب ومؤن لتكون لهم عوناً في استقرارهم الحالي في القريتين، ولكن عساكر حاجز القوس في القريتين بقيادة العقيد علي الهندي تنبهوا إلى هذا الأمر ومنعوا الناس من إدخال أي شيء حتى لو كان ثياباً خرقة، فضيقوا على الناس وحرقوا أمتعتهم دون مراعاة دموع النساء وأطفالهن. وحتى يتفادى الناس المرور بحاجز القوس، كان الحل هو النزول بالأمتعة قرب المزارع، وهذا يعني حملها مسافة طويلة مع تحمل التعب والخوف من إغلاق طريق المزارع أيضاً.

مرت أيام قليلة وأغلق طريق المزارع أيضاً، فالمطلوب بات واضحاً جداً وهو أن يعاني الناس أشد المعاناة عقوبة لهم بسبب خسارة المستودعات، وكأن مسؤولية حمايتها تقع على الناس العزل. لقد صدرت أوامر أخرى بأن الذاهب إلى بلدة مهين عليه ألا يعود ثانية إلى القريتين بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر، وفعلاً اضطر بعض النسوة أن يبتن في الطريق قرب العقبة بعد منعهن من الدخول إلى القريتين رغم الخوف والبرد القارس والتعب من السيرالطويل.

ضاق الناس ذرعا بكل هذه الأعمال التي لا تصدر إلا عن جيش احتلال، وبعد الشكوى وطرح الحلول كان الرد أن سارعوا بالعودة إلى بلدكم، والناس في حيرة من أمر هؤلاء، والذي يعني ارجعوا إلى المكان الذي ليس فيه أي مقوم من مقومات الحياة، لا أبواب، لا نوافذ، لا أثاث، لا ماء، لا كهرباء، لا طعام، والأهم من ذلك لا أمان، فمازالت قطعان السرقة والنهب المسلحة تسرح وتمرح في البلدة.

تجرأ عدد قليل من العائلات وعادوا إلى البلدة منذ أوائل الشهر الأول للعام 2014 م علّهم يجدوا شيئا من محصول الزيتون رغم الخوف، ولكن حدث ما كان متوقعاً فقد تم قتل وحرق عدد من الأشخاص بدم بارد، نساء ورجال وأطفال، و ذنبهم أنهم عادوا إلى بلدهم. لقد وصل الخبر صادماً وفاجعاً مما أوقع الرعب في قلب كل من كان يفكر بالعودة. ولكن الضغوط الممارسة على الأهالي والموظفين كانت كبيرة، فعاد الناس إلى البلدة رغم توالي الجرائم واختفاء ثلاثة أشخاص آخرين، حيث تبين فيما بعد أنهم قتلوا وتم رمي جثثهم في بئر خارج البلدة.

عاد الموظفون وكبار السن والنساء والأطفال، أما الشباب فكان منهم من انضم للجيش الحر وآخرون من الطلاب مازالوا في جامعاتهم، وقلة قليلة من الذين آثروا الهجرة إلى لبنان أو الأردن أو تركيا. سُدت النوافذ والأبواب بأمتار من النايلون والشوادر، ونظفت بعض الغرف، وعادت الكهرباء إلى الأحياء القريبة من الساحة، وتدبر الناس أحوالهم شيئاً فشيئاً مع قدر كبير من بذل الجهد والتحمل والصبر.

لم يبق لجيش النظام المتواجد بالبلدة تلك السطوة السابقة، فكانوا كالكلاب الأليفة التي تبحث عن مصلحتها في ظل السكان المتواجدين وخاصة أن أخبار الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) بدأت تفرض نفسها على الأجواء، وباتت مجموعاتها متسارعة الخطى باتجاه السخنة وتدمر، ويبدو أن فصائل الحر من أبناء المنطقة كانت في موقف صعب من قدوم داعش التي اتخذت فصائل الحر أيضاً عدواً لها واصفة كل من لم يبايعها بالمرتد.

كان عناصر الجيش الحر من أبناء البلدة يأتون إلى البلدة للاطمئنان على ذويهم من خلال طرق ترابية مستخدمين دراجاتهم النارية ومن ثم في سياراتهم، وشيئاً فشيئاً أصبحوا الحاكم الفعلي للبلدة حيث كان لديهم أسلحتهم الفردية وشكلوا مفرزة أمنية لحل المشاكل وما شابه، وقد اتخذوا إحدى الدور القريبة إلى الساحة مقراً لهم.

دخول داعش والنزوح الثاني

استمر الهدوء على هذا النحو مدة عام ونصف تقريباً حيث استعاد الأهالي معظم حياتهم الطبيعية السابقة فأصلحوا البيوت وفتحوا المحلات وزرعوا الخضار الموسمية وعادت مؤسسات الكهرباء والماء والهاتف للعمل وانتظمت المدارس في دوامها وعادت باصات حمص والنبك للسفر من جديد. وقد كان هناك ما يشبه الهدنة بين الجيش الحر وعناصر جيش النظام الذين لم يعودوا يدخلون البلدة إلا في النهار لقضاء حاجاتهم، فأخبار العدو المشترك داعش تسيطر على تفكير الجميع بعد دخوله مدينة تدمر، ولكن هروب عناصر جيش النظام أو مقتلهم في تدمر جعل عساكره المتواجدين في الحواجز المقامة بين مهين وحوارين والقريتين منهارين نفسياً ويتصرفون مع الناس بمودة وينطبق عليهم الوصف السابق (كلاب أليفة)، أما الأهالي فكانت فرحتهم وشماتتهم لا توصف بما يحصل لجيش النظام من هزائم وذل وتقتيل في تدمر وفي غيرها لما عانوه من ظلم وإجرام بسبب المستودعات.

لقد كان هناك نقاش وجدل بين المتعلمين عن فكر داعش وأهدافها، فقلة قليلة جداً رأت فيها خلاصاً من حكم البعث المجرم، أما الأغلبية فكانت ترى أن النظام وداعش نظامان شموليان لا يختلفان عن بعضهما فكلاهما مجرم، أحدهما يقتل بالتخوين (من الخيانة) والثاني يقتل بالتكفير والردة.

في أوائل آب العام 2015 م سيطرت داعش على مدينة القريتين وتشتت أهلها بين مهين وحمص ودمشق ومناطق أخرى، وأصبحت مهين بين فكي كماشة، النظام وداعش.

أيام عصيبة تمر، وقلق الناس يزداد يوماً بعد يوم وهم يتساءلون: هل ستدخل داعش إلى بلدة مهين أيضاً أم ستغير طريقها؟ ومع أن الجواب المنطقي (نعم سيدخلون) ولكنهم يفضلون القول: لا لن تدخل، ليتساءلوا ثانية وأين سيذهب هؤلاء الناس، أما يكفيهم ما ذاقوه من ويلات، إنّ جرحهم لم يندمل بعد! حالة من الترقب، وكثير من الشائعات والاتهامات، وفوضى في التفكير، هذا ما آلت إليه حياة الناس، فقد غادر البلدة عدد من العائلات التي انضم أحد أبنائها إلى داعش فكان هذا دليلاً للبعض على أن داعش قادمة إلى مهين لا محالة، ولكن يأتي آخر ليقول أنه نُقل عن فصائل الحر المحلية أن داعش لن تدخل ويوجد اتفاق، وهكذا، وفي غمرة هذه الأحداث خرجت بعض العائلات تاركة وراءها كل شيء لأن الأسوأ قادم.

في بداية شهر تشرين الثاني من العام 2015 م دخل الدواعش إلى بلدة مهين ليلاً وكانت ليلة سوداء على الناس وهي أشد وطأ مما لاقوه عند دخول النظام أول مرة لإخراج الجيش الحر. لا يمكن وصف ما حدث، فأي كتابة تبقى عاجزة عن وصف الهلع الذي أصاب الناس.

كان النزوح إلى المناطق الشرقية الواسعة التي سيطرت عليها داعش، فخرج الناس إلى القريتين ومن ثم إلى خنيفيس والشرقية وتدمر والسخنة، ثم إلى الطبقة والرقة وغيرها، ولم يكن الوضع آمناً في الطريق

فالطائرات تلاحق الناس أينما حلوا وارتحلوا، فكانت مجزرة مروعة عند فرن القريتين، وقد استشهد على أثرها عدد كبير من الناس ومنهم عدد من أهالي مهين.

كان نزوحاً إلى المجهول فلا أحد يدري أين وجهته، وبالتالي تيسر للبعض أن يستقر في منطقة الرقة والبعض استقر في منطقة الباب وآخرون في الدانا وفي عدة مناطق أخرى من ادلب وحلب، أما من اتجه جنوباً فمنهم من تمكن من دخول الأردن وآخرون مكثوا على الحدود في مخيم الركبان وكانت بعض العائلات قد حزمت أمرها ودخلت إلى تركيا منذ البداية وتبعها كثيرون آخرون.

نتائج الثورة والحرب

كثير من النتائج التي ترتبت على الثورة والحرب المضادة التي شنها نظام الأسد وكثير من الدول كروسيا وإيران وكل ميليشيا الشيعة في العراق ولبنان وافغانستان بالإضافة لداعش، وهذه النتائج تتشابه بمجملها مع النتائج التي طالت الشعب السوري ككل ومنها:

1. استشهاد عدد كبير من الشباب وتغييب آخرون في السجون.
2. خراب البيوت والأموال والأملاك والأعمال وفقدان كثير من الموظفين لوظائفهم.
3. العيش في مخيمات لا تقي من برد أو حر والاعتماد على مساعدات الجمعيات الخيرية وبعض الدول المانحة.
4. بات الحلم هو الحصول على أدنى مقومات الحياة دون التعرض للإرهاب أو المرض.
5. تفرق العائلات والأسر بين دول العالم.
6. فقدان كثير من الطلاب لدراستهم الجامعية وكذلك في المراحل الانتقالية الأخرى.
7. حرمان المواليد الجدد في دول المهجر من الجنسية السورية.
8. تعلم المواليد في دول المهجر -الأجنبية منها- الحديث بالعربية العامية وحرمانهم من تعلم اللغة العربية في المدارس والاقتصار على تعلم لغة الدولة المضيفة حسب سياسة الدمج.
9. تعرض اللاجئين وذوي الحماية المؤقتة في كثير من دول المهجر إلى معاملة عنصرية وتنمر وهضم للحقوق.
10. العمل الطويل ويصل إلى اثنتي عشرة ساعة مقابل أجر لا يصل إلى الحد الأدنى للأجور المتعارف عليه بالحد الأصغري للمواطنين.

ملحق الكتاب

لا يمكن لأي كتاب مهما عظم أن يسبر مئات السنوات من حياة أي قرية أو تعاقب سكانها وتطورهم، ولا يمكنه أن يغطي كثيراً من التفاصيل التي عاشها أبناؤها بحلوها ومرّها، وبالتالي ارتأيت إضافة بعض الصور التي تغطي جانباً آخر غير مكتوب من حياة الناس لتضيف تصوراً جديداً في مخيلة القارئ.

قباب العميا

هذه القباب القديمة تبعد عن البلدة حوالي 5 كم على الطريق الذاهب إلى بلدة صدد، وهي في أرض منبسطة وعددها حوالي العشر قباب، ولا يُعرف من بناها على وجه التحديد، ولا فيما استخدمت. وقد تم هدمها تماماً في الثورة السورية من قبل النظام الحاكم كي لا يستخدمها الثوار ككمائن لجنوده وآلياته في المنطقة.

الشوارع القديمة

بعض الأدوات المستخدمة قديماً

بابور الكاز الذي استخدم بعد موقد الحطب وقبل استخدام الغاز

نكاشة البابور

قداحة الفتيل التي استخدمت لإشعال السيجارة قديماً

المرج لدرس سنابل القمح وميزان يدوي

الحيلان لدرس القمح

استخدام المرج و الحيلان لدرس سنابل القمح التي تُعمل على شكل دائرة كبيرة تسمى الطرحة، ويسحبهما الحمار أو البغل ويقف عليه الرجل أو يجلس للتثقيل.

منجل و مذراة

الذرّاي المستخدمة بعد درس القمح لفصل القمح عن التبن وكانت تعمل يدويا بالمنويل.

استخدام العربات قديماً

يسحبها حمار أو بغل

مزملة لتبريد مياه الشرب بالصيف

خرستان وكان من تجهيزات العروس قديماً

طاحونة يدوية

استخدام السلة

من ثمار الأرض

كان الناس يستفيدون من مواسم الخير في تنويع طعامهم من حشائش قابلة للأكل كانت تظهر في الربيع في البرية القريبة ومنها نبات (أم أحمد) وغيرها بالإضافة إلى الكمأة والفطر. والكمأة لها أشكال متعددة ومنها الهوبر وطعمها لذيذ جداً وكانت تتواجد بكثرة في الأراضي القريبة حول البلدة، وتتواجد منذ بداية الربيع في مواسم رعدية غالباً.

الكمأ

من أزقة الكروم

سحب المياه بالمضخة لسقي الكروم

صيد السمك من السدة غرب البلدة وهي تجمع لمياه السيول

مناظر منوعة للبلدة

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

الدمار بسبب الحرب التي تسببت بالنزوح والهجرة

1

2

3

4

5

6

7

8

.....انتهى.....

مصادر المعلومات التاريخية

- أسر حمص ، نعيم سليم الزهراوي
- البلسم الشافي ، أحمد القشعم
- اللؤلؤ المنتضد في تاريخ صدد، الخوري ابراهيم دنهش 1964
- الموجز في تاريخ مدينة حمص وأثارها ، محمد ماجد الموصلي
- بلادنا فلسطين ، مصطفى مراد الدباغ
- تاريخ الأزمنة ، المؤرخ البطريرك ميخائيل الكبير
- تاريخ حمص ، منير الخوري عيسى اسعد
- جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، أحمدوصفي زكريا
- خطط الشام ، محمد كرد علي
- صفحات من تاريخ يبرود والقلمون ، نور الدين عقيل
- كتاب ربوع محافظة حمص ، عماد الدين الموصلي -
- مذكرات فتح الله الصايغ
- معجم قبائل العرب ، عمر رضا كحالة

المحتويات

مقدمة 3

موقع مهين 5

ما كتبه المؤرخون عن مهين 5

التسمية..... 7

البناء الأثري 7

البيوت الطينية 8

قرية حوارين 11

الدين المسيحي في المنطقة..... 12

أحداث شهدتها المنطقة..... 13

من مذكرات فتح الله الصايغ 15

من مذكرات جرترود بل 15

نظرة على عشائر المنطقة 17

أصل سكان مهين وعددهم..... 19

المياه في البلدة..... 23

وصول الكهرباء 28

حركة العمل والاقتصاد..... 29

الطبابة والتداوي 34

إخوة عيشة 35

شجرة أم عياش..... 35

الاعتقادات والشأن الديني 37

الأعياد 40

المساجد والجوامع 41

شخصيات من مهين 43

التعليم 46

الأمثال الشعبية 50

عادات الزواج 52

عادات الزواج القديمة 53

عادات الزواج الحالية 55

من الأغاني والهلاهيل في الأعراس 56

من العتابا 58

ختان الأطفال 60

تربية الأولاد 61

الأتراح 63

مشكلات مجتمعية 65

اللباس الشعبي 67

الطعام والشراب 68

الصناعات اليدوية القديمة 72

مهين والثورة السورية 74

الاستيلاء على المستودعات والنزوح 77

دخول داعش والنزوح الثاني 81

نتائج الثورة والحرب..... 82

ملحق الكتاب 83

مصادر المعلومات التاريخية 96

في هذا الكتاب

محاولتي البحثية في تاريخ بلدة مهين، وما وجدته في بعض الكتب من أحداث جرت في المنطقة، بالإضافة إلى نقل صورة عن الفترة الزمنية التي عشتها في هذه البلدة وفيها من العادات والتقاليد والتراث الشعبي منذ سبعينات القرن الماضي مروراً بالثورة السورية وتشتت الأهالي في أصقاع العالم في نهاية عام 2015 م.

آيلا للنشر والتوزيع

2022

مهين كما رأيتها